

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى

الجذع المشترك للعلوم الإسلامية

نظام ل،م،د

السداسي الأول

مادّة: التاريخ الإسلامي

السيرة النبوية

إعداد الأستاذ: إبراهيم بن مهية

السنة الجامعية 2011/2012

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة على الحبيب المصطفى، والسلام على عباده الذين اصطفى:

هذا الملخص الذي بين أيدينا يكاد يكون معتصرا لأحداث السيرة النبوية العطرة، وموجزا لأهم ما يستفاد منها، نضعه لدى طلبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (نظام ل، م ، د) لكي يتسنى لهم الإلمام بتطوراتها المتناسقة، والتفهيء بظلالها الباسقة.

و بعد المدخل المعرف بالسيرة، تتوالى المحاضرات المتعلقة بالأحداث، وتتالى بعد كل محاضرة الدروس المتعلقة بالعبير المستنبطة من الحوادث، وأغلب الكتب والمصادر التي اعتمدت في هذه المطبوعة، لا تخرج في عمومها عن المراجع المتداولة والمعروفة عند المثقفين الذين لديهم أدنى إطلالة على هذا المجال التاريخي والديني الخصب، وعلى رأسها سيرة ابن هشام، وزاد المعاد لابن القيم والفصول لابن كثير في الأقدمين، والسيرة النبوية للدكتور السباعي، وفقه السيرة للدكتور البوطي، والرحيق المختوم للمباركفوري... في المعاصرين، وإن أنس فلن أنس كتاب فقه السيرة لشيخنا وأستاذنا محمد الغزالي الأب الروحي لهذه الجامعة المباركة.

و في الأخير نتمنى لطلبتنا التمتع بعقب هذه السيرة الفياحة، وأريج أنوارها الواضحة، فإنها - أي السيرة- لعمر الحق أهدي السبل لسعادة الدارين، وأتمودج الإنسان الكامل الذي ترنو إليه البشرية كلها عبر تاريخها الطويل وفلسفاتها المتعاقبة شاخصة بأبصارها مشرّبة بأعناقها، متطلعة بأرواحها نحو الاكتمال الإنساني الذي تجسد في قدوتنا وأسوتنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

و صلى الله على سيدنا محمد

و شرف وكرم وعظم ومجد

المحاضرة (01)

مادة فقه السيرة النبوية [التاريخ الإسلامي]

السيرة النبوية: مزاياها ومصادرها

تعريف السيرة لغة: السيرة على وزن فعلة جمعها سير ومعناها الهيئة كقوله تعالى (سنعيدها سيرتها الأولى) ولعل أهم معانيها الطريقة والسنة إذا شاعت كقول الشاعر:
فلا تغضبُن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها

السيرة اصطلاحاً: هي الترجمة المأثورة لحياة النبي محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي صلى الله عليه وسلم باعتباره خاتم الأنبياء من بدايتها إلى نهايتها

مميزات السيرة النبوية: تجمع السيرة مزايا عديدة تجعل منها متعة روحية وعقلية وتاريخية بل وتجعل دراستها ضرورية لجميع علماء الشرع وكل دعاة الإسلام وكافة مصلحي البشرية... فهي أولا وقبل كل شيء اصح سيرة لنبي واثبت سيرة لمصلح (وتكفي نظرة سريعة لما دونه اليهود عن موسى أو ما دونه النصراني عن المسيح عيسى بن مريم من سير محرفة بل وحتى ما دونه البوذيون عن بوذا وما يذكره كل قوم عن عظيمهم...) ¹

ولقد كانت حياته واضحة منذ الحمل به إلى دفنه حتى قال الغريون عنه انه هو الوحيد الذي ولد تحت الشمس ! بمعنى أن سيرته احتوت على طرائق معيشتته وصفاته الخلقية في تفاصيل دقيقة وكثيفة لم يكن بالإمكان أن تتوفر لشخص إلا بتوفر الوسائل العصرية .

ثم إن السيرة تتحدث عن بشر عادي لا يتميز عن غيره إلا بأنه أكرم بالرسالة وقد جسدت سيرته نموذج الإنسان الكامل المثالي الذي يبحث عنه الفلاسفة، فهو الذي أمره ربه بان يقول للناس (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) ² (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ) ³ ويكفيها وصف عائشة له "كان خلقه القرآن" و"وكان قرانا يمشي" والله در الشاعر الإمام البوصيري إذ قال:

1 - مصطفى السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر، (مقدمة الكتاب).

2 - الإسراء: 93.

3 - الكهف: 110.

فمبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم

- هذا وقد شملت السيرة النبوية كل مناحي الحياة الشخصية للفرد لمن أراد أن يستقيم في الحياة ويسعد في الدنيا والآخرة(شباب - داعية - رئيس - زوج - أب - صديق - محارب - قائد - سياسي - جار ...)

- وأخيرا وهذا هو الأهم فإن السيرة النبوية هي في ذاتها دليل صدق رسالة الإسلام حيث تضمنت التواتر والشهرة لصفتي الصدق والأمانة قبل البعثة وبعدها إلى آخر لحظة من عمره بل إن أعداءه لطالما اعترفوا بشكل صريح وعملي بأنه الصادق الأمين الذي لم يجربوا عليه كذبا قط !!!
ومما تبينه السيرة من دليل تاريخي على صحة هذا الدين إنها تذكر عنه بأنه دعا فأوذي وبلغ فجمع الأنصار ثم اضطر للحرب فكان حكيما فيها فمن عرف عادات الجاهلية وعدم التكافؤ بينه وبين أعدائه وقصر مدة دعوته أيقن بما لا يدع مجالاً للشك أن الله أرسله فعلا وهكذا تثبت السيرة صدق رسالته بطريق عقلي بحت¹.

تطور الكتابة في السيرة خلال القرون الأولى: انصب جل اهتمام الصحابة وتلاميذهم على القرآن الكريم طيلة العهد الراشدي وبداية الأموي بينما بقيت سنة والسيرة (أحداث وأحاديث من عهد النبوة) تُتداولان شفاهيا؛ إذ كان الاعتماد على التخزين في الذاكرة كبيرا جدا ومع ذلك عمد القليل من أهل القرن 1 هـ إلى تدوين ما يحفظ دون أن يجعله تأليفا خاصا - حيث لم تبدأ عملية تأليف الكتب إلا مع انتصاف القرن 2 هـ - وحينما أمر خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز الأموي بكتابة السنة فور انقراض عصر الصحابة حوالي سنة 100 هـ بدأنا نسمع عن بعض المتخصصين في كتابة السيرة ضمن محدثي التابعين كالإمام الزهري وغيره... إلى أن انفرد محمد بن إسحاق بن يسار بمؤلفه الضخم في السيرة ولئن ضاع أغلبه إلا أنه محفوظ في كتاب سيرة ابن هشام التي ألفها تلميذ تلاميذه عبد الملك بن هشام الحميري في مطلع القرن 3 هـ.

وإذا كانت وتيرة التأليف في مختلف علوم الدين واللغة قد تصاعدت شيئا فشيئا مع نهاية القرن 3 هـ ثم تضاعفت في القرون الموالية أضعافا مضاعفة فإن السيرة النبوية قد شهدت هي الأخرى بموازاة ذلك تصاعدا في التأليف الذي تناولها بأشكال متنوعة مثل: - **التاريخ العام** (كتاريخ الطبري ت 310 هـ) - **التراجم** (كطبقات ابن سعد ت 230 هـ) - **الدلائل** (كدلائل النبوة لأبي نعيم ت 430 هـ

¹ - د. البوطي (محمد سعيد رمضان): فقه السيرة (مقدمة الكتاب).

والبيهقي ت 458 هـ) - **الشمائل** (كشمائل الترمذي ت 280 هـ وابن حزم ت 460 هـ) - **الأنساب** (كأنساب الأشراف للبلاذري ت 279 هـ) - **الفتوح** (كفتوح البلدان للبلاذري أيضا) - **الأموال** (ككتاب الأموال للقاضي أبي يوسف ت 182 هـ ولأبي عبيد القاسم بن سلام ت 224 هـ وكتاب الخراج ليحيى بن آدم ت 203 هـ) - **الخصائص** (كالشفاء للقاضي عياض والخصائص الكبرى للسيوطي) - **فقه السيرة** أو ما يستنبط منها (زاد المعاد لابن القيم وسبل الرشاد للشامي) - **مرويات أحداث السيرة** ولو كانت ضعيفة أو موضوعة مثل (عيون الأثر لابن سيد الناس والسيرة الحلبية والمواهب اللدنية للقسطلاني وشرحها للزرقاني) إلى جانب شروح سيرة ابن هشام كالخشني ت 604 هـ والروض الأنف للسهيلى ت 580 هـ ونظم السيرة شعرا كأللفية العراقي...

نشأة الكتابة في السيرة النبوية قبل ابن هشام:

بعيدا عن كثرة التأليف القديم للسيرة يبقى السؤال مطروحا حول المسافة الزمنية بين انتهاء أحداث السيرة 11 هـ وتأليف أقدم كتاب بين أيدينا اليوم وهو سيرة ابن هشام الذي توفي سنة 213 هـ؟! ولو قلنا أنه استقها من مؤلف أقدم منه هو ابن إسحاق المتوفى سنة 151 هـ فإن المسافة الزمنية باقية ولو تقلصت فهي باقية بما يكفي للمستشرقين من إثارة الشكوك والشبهات حول تدوين السيرة وتسجيل أحداثها بعد وقوعها من خلال الذاكرة بأكثر من قرن!!!.

لقد كان الاهتمام بالسيرة كتخصص في علوم الدين واضح الظهور في وقت مبكر على يد الصحابي بن عباس فقد عرف عنه أنه كان يجلس يوما للفقهاء فقط ويوما للتفسير فقط ويوما للمغازي [أي السيرة] ويوما للشعر... وهكذا، وهو رضي الله عنه ترك من الصحف حمل بعير لدى خادمه كريب التابعي وهذا الخير تركها بدوره لدى المؤرخ موسى بن عقبة صاحب المغازي ولدا روى ابن سعد عن هذا الأخير قوله "وضع عندنا كريب حمل بعير من كتب ابن عباس فكان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب بعث إلي: أن ابعث إلي بصحيفة كذا وكذا، فينسخها فيبعث إليه بإحداهما".

ثم إنه قد ثبت أن أبان ابن عثمان ابن عفان 105 هـ كان يحرص على تعليم السيرة بالكتابة حيث نجد ابن سعد في طبقاته يترجم لأحد التابعين بقوله: "قليل الحديث إلا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدها من أبان فكان كثيرا ما نقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها".

إلا أن أقدم من عرفت عنه كتابة السيرة هو التابعي الفقيه المحدث العابد [عروة بن الزبير بن العوام 22 - 93] فقد كان يجيب بالكتابة على أسئلة الأمراء والعلماء حول السيرة، علما بأن ابنه هشام بن عروة قد صرح أنه كان يسأله هل كتبت ؟ فيجيب نعم فيسأله : عرضت كتابك ؟ فيجيب: لا فيقول: لم تكتب. هدا، وقد تواتر ذكر كتابه المغازي لدى المؤلفين طيلة ألف عام وهو الكتاب الذي نقله عنه تلميذه الذي تربى على يديه أبو الأسود فقد حدث به في مصر ونقله عنه محدثها ابن لهيعة ونسبت تلك المغازي مكتوبة إلى كل منهما.

ولقد اشتهر وهب بن منبه اليماني 114 هـ بكتاب التيجان حول ملوك حمير، مثلما فعل عبيد بن شريه الجرهمي قبله أيام معاوية لكن وهبا أضاف إليها الاهتمام بعصر النبوة، كما اشتهرت عنه الصحيفة في الحديث وروى له حفيده عبد المنعم بن إدريس 228 هـ كتابا في المغازي وقد وجدت قطعة منه في عصرنا هدا، وكذلك فعل المحدث عمرو بن شعيب في نقله لأحاديث جد أبيه [عبد الله بن عمرو بن العاص] وهو الصحابي المعروف بكتابة الأحاديث وله الصحيفة الصادقة المشار إليها في الصحاح .

أما الإمام الزهري 124 هو الذي كان محور التابعين في رواية السنة وتدوينها المبكر فقد عرفت عنه الكتابة في المغازي بشكل واضح ونقل عنها الطبري وغيره بكثرة بل قال السهيلي في روضه: "هي أول سيرة نقلت في الإسلام" ليتكفل بالتدوين والتأليف بعده ثلاثة من تلاميذه هم:

● موسى بن عقبة 141 هـ الذي حث مالك على مغازيه بل اعتبرها أصح المغازي واعتمدها البخاري في صحيحه بل إن المستشرق سخاو وجد قطعة منها في مطلع القرن العشرين .

● معمر بن راشد اليماني 154 هـ ذكر له ابن النديم في الفهرست كتاب المغازي وهو الذي اعتمده عبد الرزاق المحدث اليماني بكثرة في مصنفه.

● محمد بن إسحاق 151 هـ وهو المؤرخ المشهور الذي صرح ابن هشام بأنه يختصر كتابه في السيرة. وقد اشتهر قبل ابن إسحاق سليمان بن طرخان التيمي 143 هـ والذي نقل عنه ابنه معتمر السيرة والحديث. كما اشتهر بعد ذلك المؤرخ أبو معشر السندي في نهاية القرن 2 هـ وكذلك الإخباري الشهير محمد بن عمر الواقدي الذي اعتمد عليه تلميذه ابن سعد بكثرة في طبقاته.

وخلاصة القول: أن أوائل المؤلفين في مطلع القرن 3 هـ قد سجلوا لنا إشارات متواترة إلا أنه كانت هناك كتابات أولية في المغازي والسيرة تعود إلى قليل من متأخري الصحابة عند انتصاف القرن

1 هـ حتى نهايته بل صرحوا أن بعض التابعين في القرن 2 هـ قد اعتمدوها بكثرة في تصنيف أقدم كتب السيرة وهذه الأخيرة رغم كونها مفقودة حالياً بشكلها الكامل إلا أن النقل عنها كثير ومستفيض وربما وجدت أجزاء منها¹.

ومن النقل عن تلك الكتب الأقدم في التواريخ والسنن والسير والتراجم ما نجده في الكتب التالية:

- مصنف عبد الرزاق عن معمر عن الزهري.
- طبقات ابن سعد عن الواقدي عن موسى بن عقبة.
- سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق عن هشام بن عروة والزهري.
- مسند أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.
- مغازي ابن عائد عن الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة.

¹ ابن هشام: السيرة النبوية، دار الحديث، القاهرة، 2005. (مقدمة المحقق)

نص للمطالعة

قال ابن هشام في كتابه السيرة:

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

[ذِكْرُ سَرِّ النَّسَبِ الرَّكْبِيِّ]

مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ (النَّحْوِيُّ) : هَذَا كِتَابُ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ وَاسْمُ هَاشِمٍ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُ عَبْدِ مَنَافٍ الْمُغِيرَةُ بْنُ فُصَيٍّ ، (وَاسْمُ فُصَيٍّ : زَيْدٌ) بْنُ كِلَابِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ كِنَانَةَ بْنِ حُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ وَاسْمُ مُدْرِكَةَ عَامِرُ بْنُ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ (أَدُّ وَيُقَالُ) : أَدُّ بْنُ مَقُومِ بْنِ نَاحُورَ بْنِ تَيْرِحَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - خَلِيلِ الرَّحْمَنِ - بْنِ تَارِحٍ وَهُوَ آزَرُ بْنُ نَاحُورَ بْنِ سَارُوعَ بْنِ رَاعُوَ بْنِ فَالِحِ بْنِ عَيْبَرَ بْنِ شَالِحِ بْنِ أَرْفَحَشَدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لَمَكِ بْنِ مَتَوْشَلَخِ بْنِ أَخْنُوخَ ، وَهُوَ إِدْرِيسُ النَّبِيِّ أَعْلَمُ وَكَانَ أَوَّلَ بَنِي آدَمَ أُعْطِيَ النَّبُوءَةَ وَحَطَّ بِالْقَلَمِ - ابْنِ يَزِيدِ بْنِ مَهْلِيلِ بْنِ قَيْنَانَ بْنِ يَانِشَ بْنِ شَيْثِ بْنِ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقِ الْمُطَّلِبِيِّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ مِنْ نَسَبِ مُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا فِيهِ مِنْ حَدِيثِ إِدْرِيسَ وَغَيْرِهِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَدَّثَنِي خَلَادُ بْنُ قُرَّةَ بْنِ خَالِدِ السَّدُوسِيِّ ، عَنْ شَيْبَانَ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ شَقِيقِ بْنِ ثَوْرٍ عَنْ قَتَادَةَ بْنِ دُعَامَةَ ، أَنَّهُ قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - خَلِيلِ الرَّحْمَنِ - بْنُ تَارِحٍ وَهُوَ آزَرُ بْنُ نَاحُورَ بْنِ أَسْرَغِ بْنِ أَرْغُوَ بْنِ فَالِحِ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِحِ بْنِ أَرْفَحَشَدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لَمَكِ بْنِ مَتَوْشَلَخِ بْنِ أَخْنُوخِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ مَهْلَائِيلِ بْنِ قَايِنِ بْنِ أَنُوشِ بْنِ شَيْثِ بْنِ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

[نَهْجُ ابْنِ هِشَامٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ]

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَأَنَا إِن شَاءَ اللَّهُ مُبْتَدِئُ هَذَا الْكِتَابِ بِذِكْرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ وَلَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَلَدِهِ وَأَوْلَادِهِمْ لِأَصْلَابِهِمُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ مِنْ إِسْمَاعِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَعْرِضُ مِنْ حَدِيثِهِمْ وَتَارِكُ ذَكَرَ غَيْرِهِمْ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَى هَذِهِ الْجِهَةِ لِلِإِخْتِصَارِ إِلَى حَدِيثِ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَارِكُ بَعْضَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِمَّا لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيهِ ذِكْرٌ وَلَا نَزَلَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ وَلَيْسَ سَبَبًا لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَلَا تَفْسِيرًا لَهُ وَلَا شَاهِدًا عَلَيْهِ لِمَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الْإِخْتِصَارِ وَأَشْعَارًا ذَكَرَهَا لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَعْرِفُهَا ، وَأَشْيَاءَ بَعْضُهَا ، يَشْنَعُ الْحَدِيثُ بِهِ وَبَعْضٌ يَسُوءُ بَعْضَ النَّاسِ ذِكْرَهُ وَبَعْضٌ لَمْ يُقَرِّ لَنَا الْبُكَائِيُّ بِرِوَايَتِهِ وَمُسْتَقْصِصٌ إِن شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْهُ مِمَّا بَلَغَ الرِّوَايَةَ لَهُ وَالْعِلْمَ بِهِ .

المحاضرة (02)

مادة فقه السيرة النبوية [التاريخ الإسلامي]

من أحوال الجاهلية في العالم القديم والعرب ومكة

تتوسط شبه الجزيرة العربية القارات الثلاث في العالم القديم حيث يتم التقاء طرق التجارة العالمية عندها ولذلك كانت هي الموصلة بين الحضارات القديمة الكبرى وسلعها وثقافتها.

وقد كان جل سكان العالم يعيشون في وثنيات متنوعة باستثناء اليهود الذين -رغم توحيدهم- حرفوا التوراة وانتشروا في المدن والعواصم العالمية لخدمة مصالحهم العرقية في التجارة الدولية، أما الروم فإنهم تنصروا حينما ترومنت النصرانية بالتثليث وتحريف الإنجيل في حين جمع الفرس آلهتهم المتعددة القديمة في إلهين اثنين (إله الخير وإله الشر) وعبدوا النار لأنها ترمز لهما معاً، بينما نجد أوثان الهند تجمعت في الديانة البرهمنية (نسبة إلى الإله الخالق براهما) حتى وصل عدد آلهة هذا المجمع إلى ثلث مليار إله !!! ولقد حاولت الفلسفة الوضعية لبوذا تصحيح بعض مفاهيم الحياة والنفس لكنها أضحت ديانة وجعل بوذا من ضمن الآلهة رغم انتشار الديانة المنسوبة إليه في الشرق الأقصى كله كالصين والهند الصينية وبعض جزر الهند الشرقية اندونيسيا، وكذلك حدث لوثنيات الصين مع أفكار المصلح كونفوشيوس...¹

إن أقاليم شبه الجزيرة العربية وهي تهامة والحجاز ونجد واليمن... يغلب على تضاريسها الطابع الصحراوي جبال جرداء ورمال وتتوزع فيها الواحات أما المناطق الزراعية فلا تكثر إلا في سفوح الجبال اليمينية، لذا كان مناخ شبه الجزيرة في غالبه صحراويًا جافاً -إلا فيما يتعلق باليمن- وهذه الخصائص ضمنت للعرب عدم تدخل الإمبراطوريات المحيطة بهم في شؤونهم إلا بشكل غير مباشر كما في اليمن أحياناً أو في بادية الشام والعراق.²

طبقات سكان شبه الجزيرة العربية: - العرب البائدة (الهالكة بأسباب مختلفة) كعاد وطسم وجرهم... - العرب العاربة (القحطانية من أصل يمني جنوبي) كجُمير وسبأ وكندة والخزرج وخزاعة

¹ علي الصلاحي: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل الأحداث، دار المعرفة، بيروت، 2007، ط6، ص13-18.

² - المباركفوري: الرحيق المختوم، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 19، 2007، ص29-33.

طيء وغسان... - العرب المستعربة (العدنانية من أصل حجازي شمالي) كتميم وربيعة وغطفان وهوازن وكنانة وهذه الأخيرة منها قبيلة قريش...¹

الأنظمة في الجاهلية العربية: لفظ الجاهلية مشتق من الجهل الذي هو ضد الحلم لا العلم وذلك لدلالته على نوع الجهل السائد في الحياة العربية قبل البعثة المحمدية، وهو ما عبر عنه الشاعر صاحب المعلقة مفتخرًا:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والنظام السائد الحاكم في ربوع الجزيرة هو النظام القبلي الذي منع العرب من التوحد في سلطة مركزية واحدة، وإن كانت هناك بعض الدويلات في الأطراف كالمناذرة والغساسنة... وغيرها من دول الأطراف التي تخدم مصالح ما يجاورها من الإمبراطوريات العالمية.

أما ديانات العرب فكثيرة جدا لأنها وثنيات قبلية؛ حتى أن الأصنام التي احتوتها الكعبة لتمثيل قبائل العرب وصلت إلى 360 صنما! وهذه الوثنية قبلت ببعض بقايا دين إبراهيم عليه السلام كالحج والأشهر الحرم للتخفيف من مساوئ المنازعات القبلية وعصبياتها اللامتناهية إضافة إلى تسلل اليهود بين بعض العرب كيثرب وخيبر وانتشار المسيحية في بعض القبائل بشكل سطحي².

لقد كانت المدن والقرى في اليمن كثيرة في ظل السدود المائية التي قد ينهار بعضها فيضطر السكان القحطانيون لإعادة التموذج داخل اليمن أو الانتشار خارجه، بينما كانت المدن والقرى في غير اليمن قليلة بل إن أكثرها كانت واحات كيثرب واليمامة... إلا أن مكة وحدها كانت مدينة تقع في واد غير ذي زرع لطابعها الديني والتجاري والرعوي... وسكان هذه المدينة الأخيرة المقدسة هم قبيلة قريش التي اشتق اسمها من النقرش = التجمع لأن بني النضر بن كنانة لم يتركوا مكة كما فعل إخوتهم الكنانيون الذين توزعوا في الحجاز أو كما فعل بنو عمومتهم من مضر بن نزار الذين تركوها بسبب طغيان قبيلة جرهم الحاكمة في مكة منذ أكثر من ألف سنة وكذا بسبب طغيان القبيلة التي حلت محلها وهي خزاعة القحطانية المتسببة في إدخال الأوثان إلى الكعبة على يد عمرو بن لحي خلال القرون الميلادية الأولى³.

1 - المرجع نفسه، ص 21-24.

2 - الصلابي، المرجع السابق، ص 19-37.

3 الباركفوري، المرجع السابق، ص 33-34.

هذا ولقد تمكن قصي بن كلاب (وهو حفيد لحفيد فهر بن مالك بن النضر) من العودة إلى مكة ومصاهرة زعيمها الخزاعي واستلام مقاليد الحكم فيها بعد وفاته بل وطرد خزاعة وتجميع قومه من قريش في دور مكة وبناء دار الندوة وتنظيم شؤون السلطة... أما حفيده هاشم فتمكن مع إخوته من تنظيم تجارة مكة الدولية خارج الجزيرة العربية وداخلها فيما يسمى بـ(الإيلاف). أما ابنه عبد المطلب فعاد من عند أخواله يثرب وأعاد تنظيم شؤون الحجيج خصوصا بعد إعادة حفره لبئر زمزم وبعد أن صار له من الأولاد الذكور أكثر من عشرة كاد أن يضحى بأصغرهم (عبد الله) لولا أن استقرت القرعة في الأخير على فدائه بمائة من الإبل ! لكنه بعد تزويجه بـ(آمنة بنت وهب الزهرية) توفي عند أخوال أبيه في يثرب عند أول خروج له للتجارة تاركا زوجته حاملا بـ(محمد صلى الله عليه وسلم)¹.

وقد ورد النسب النبوي الشريف إلى الجد العشرين وهو عدنان في نظم لأحد علماء الجزائر في بداية القرن الماضي وهو الإمام الديسي الضير - رحمه الله - إذ قال في منظومة له:

و واجب في حق ذي التكليف	معرفة بالنسب الشريف
محمد المختار من خير العرب	أبوه عبد الله عبد المطلب
و هاشم عبد مناف وقصي	كذا كلاب مرة كعب لؤي
و غالب فهر ومالك نضر	كنانة خزيمة كن ذا نظر
مدركة إلياس مضر ونزار	معد عدنان الذي له الفخار
و فوق عدنان فليس من خبر	معول عليه من أهل الأثر

و على منوال هذا النظم ، كتبت أبياتا في السيرة النبوية أقدمها دعما لهذه الدروس لمن أراد الاستزادة:

واتحد الروم مع الكنائس	فعاش جل الناس عيش البائس
وزرَدَشْتُُ الفرس والمجوس	قد حالفوا ساسانَ إذ يسوسُ
في يمنٍ أُحرق في الأخدود	أهل الإيمان سعي ذي اليهود
لدى نواسٍ آخز التبابعة	لحميرٍ نجرانُ كانت تابعة
فاحتله الأحباشُ دونما حزن	والفرسُ قد أعانوا سيفَ ذي يزن
من بعد ما أهلك جيشُ أبرهه	وهيبةُ الكعبة زادتُ أهبه
وكان كنزها خفي مع زمزم	حلَّت خزاعةُ محل جرهم

¹ - الصلابي، المرجع السابق، ص 37-47.

وبَدَّلَ التَّوْحِيدُ عَمْرُوَ بْنَ لُحْيٍ
فَهَرُّ قَرِيشٍ أَخْرَجُوا خِزَاعَةَ
مِنْ نَسْلِهِ وَمِنْ أَخِيهِ جَاءَ
فَالَأَبُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ
آمَنَةٌ وَهَبُ مَنْافٍ زَهْرَهُ
كَعْبُ لَوْيٍّ غَالِبٌ وَفَهْرُ
كِنَانَةَ خَزِيمَةَ وَمَدْرِكَةَ
مَعْدُ عَدْنَانُ وَأَقْصَى مَا عُرِفَ
هُوَ الذَّبِيحُ كَأَبِيهِ الْأَكْرَمِ
وَنَعِمَتْ قَرِيشٌ بِالْإِيلَافِ
وَجَاءَهَا الْأَحْبَاشُ بِالْأَفْيَالِ
مَشَوْا إِلَى الْكَعْبَةِ مَشَى الْمَيْسِ
أَفْنَاهُمُ اللَّهُ بِطَيْرٍ وَعَظَا
تَكْرَمَةً لِمَوْلِدِ النَّبِيِّ الْيَتِيمِ
مِنْ بَعْدِ خَمْسِ مِائَةِ سَنِينَا
بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَسَابِعَ وَذَا
ثَانِي عَشْرَةَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ

لَمْ يَبْقَ فِي مَكَّةَ مُضَرٌّ غَيْرَ حَيٍّ
لَمَّا قَصِيَّ قَدْ دَعَا قَضَاعَهُ
وَالَّذِي النَّبِيُّ الَّذِي أَضَاءَ
وَهَاشِمُ عَبْدُ مَنْافٍ يَنْتَسِبُ
أَخُو قَصِيٍّ مِنْ كِلَابٍ مُرَّةُ
يَدْعَى قَرِيشًا مَالِكُ بَلِ نَضْرُ
إِلْيَاسُ مُضَرٌّ وَنَزَارُ أَدْرِكَةُ
بَأَنَّ إِسْمَاعِيلَ مِنْتَهَى الشَّرْفِ
قَدْ قُذِيَ مِنْ بَعْدِ حَفْرِ زَمْزَمِ
أَيَّ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالْأَصْيَافِ
أَبْرَهَةَ حَاكِمِ ذِي الْأَقْيَالِ
لِيَصْرِفُوا الْعُرْبَ إِلَى الْقَلْبِ
مَعَ الْأَبَائِيلِ حَجَارَةُ لَطِي
وَقَدْ رَأَتْ آمَنَةُ النُّورَ الْعَظِيمَ
مِنْ مَوْلِدِ الْمَسِيحِ زِدْ سَبْعِينَا
فَصَلُّ رَبِيعِ شَهْرٍ نَيْسَانَ كَذَا
فِي صَبْحِ الْإِثْنَيْنِ عَلَى الْمَعْوَلِ

المحاضرة (03)

مادة فقه السيرة النبوية [التاريخ الإسلامي]

وقائع النشأة النبوية الطاهرة

وقائع النشأة النبوية الطاهرة في المراحل العشرة الأولى قبل بلوغ سن الأربعين
(كل مرحلة = أربع سنوات):

لقد تميزت السنوات الأربع الأولى 1-4 من حياته ﷺ ببقائه في بادية بني سعد (هوازن) في حضانة مرضعته حليلة بنت أبي ذؤيب؛ حيث استرضع له جده وأمه المرضعات طلبا لقوة البنية وفصاحة اللسان والابتعاد عن أمراض الحواضر، وقد رأت حليلة وقومها من بركته عليهم ما جعلها - بعد فطامه - تطلب إبقاءه عندها فقبل طلبها، ولما أرادت العناية الإلهية إرجاعه قدرت له واقعة (شق الصدر) أثناء رعيه الغنم مع أخيه فلما تأكدت حليلة من عدم حصول أي مكروه بادرت هي بإرجاعه، وبدأت السنوات الأربع الثانية 4-8 بتمتعه بأحضان أمه وجده لكن حلقات اليتيم استكملت إحاطتها به أثناء مرافقته لأمه إلى يثرب في زيارتها لقبر زوجها؛ حيث مرضت في طريق العودة وتوفيت بالأبواء وهو في سن السادسة، ليزداد جده حنوا عليه؛ وقد علم الجميع منه ذلك فصار يأخذ مكانه في مجالس القوم ولا يقدر أحد على منعه، ولكن هذا الجد توفي هو أيضا بعد أن تجاوز حفيده سن الثامنة، ولذا بدأت السنوات الأربع الموالية 8-12 بتكفل عمه الشقيق أبي طالب لأمر رعايته، ورغم كون عمه هذا من وجهاء قريش إلا أن تجارته كانت في كساد مثلما كانت معيشته في ضيق؛ فبادر الصبي محمد إلى رعي الغنم لبعض أهل مكة مقابل قليل من المال لإعانة عمه، وقد حاول هذا الأخير أن يخرج معه في تجارته إلى الشام كي يستفيد من السفر بمشاهدة مختلف القبائل والثقافات والصفقات... إلا أن أحد الرهبان - واسمه بجيرا - استقبل القافلة عند حدود سورية وكلم العم في أمر علامات نبوة ابن أخيه ونصحه بإرجاعه فأعادته إلى مكة... هذا، وقد تواصلت حياة الكدح في الرعي خلال السنوات الأربع التالية 12-16 وفيها يتم -عادة- بلوغ الاحتلام، ولم يكن يرى في نفسه ميلا إلى عادات الجاهلية التي قد تصادفه حتى عُرف عنه اشمئزازه من الأصنام وقرابينها وعزوفه عن مجون الشباب وفجورهم، وقد حثه مرة صاحب له في الرعي كي يشارك الناس في هو أحد

الأعراس لكنه عاد في اليوم الموالي ليخبره بأنه نام في الطريق لتلك المشاركة ! ولما عاد مرة أخرى حدث له نفس الشيء !!.

وتواصلت هذه النشأة الطاهرة في السنوات الأربع الأخرى 16-20 وقد طفت على سطح الأحداث المجاورة حروب الفجار بين قبائل كنانة وقيس عيلان والمفروضة على قريش الكنانية ظلما وعدوانا ففُقد لهذا الفتى اليافع حضور بعض فصولها لمساعدة أعمامه على هامش المعارك، لكن السنوات الأربع التي أعقبها 20-24 افتتحت بحلف الفضول الذي تداعى له رؤساء القبائل وحضره النبي ﷺ في دار عبد الله بن جدعان التيمي فشهد إبرام اتفاقية على نصرة المظلوم في مكة . ونظرا لاشتهاره بين قومه بلقب (الصادق الأمين) ونظرا لهفته العالية صار هذا الشاب الزكي الذكي مطلوباً للمشاركة في قوافل كبار التجار للمضاربة معهم في رحلات اليمن والشام، وحدث له أثناءها مشاركته لخديجة بنت خويلد الأسدية (من آل عبد العزى بن قصي) وهي ثيب ذات شرف ومال فعاد إليها بربح عظيم ... وهكذا افتتحت السنوات الأربع الآتية 24-28 بسعي خديجة كي يتقدم لخطبتها هذا الشريك الجديد في التجارة فتزوجها وهو في الخامسة والعشرين من عمره بينما قاربت هي سن الثلاثين أو الأربعين وأنجبت له القاسم أكبر أولاده والذي -رغم وفاته صغيراً- فإنه بقي يكنى به، كما أنجبت له زينب وهي كبرى بناته، لتشهد السنوات الأربع التي تلتها 28-32 مولد سائر بناته وهن رقية وأم كلثوم وفاطمة، وربما ولدت هذه الأخيرة في السنوات الأربع التي بعدها 32-36 ... هذا بالإضافة إلى تبنيه لزيد بن حارثة الذي اشتترته خديجة وأهدته إياه، إلى جانب كفالته لأصغر أبناء أبي طالب وهو علي مع ربيبه هالة بن أبي هند¹.

ولما أعادت قريش بناء الكعبة شارك قومه وهو في سن الخامسة والثلاثين بنقل الحجارة وقد أحس بما يمنعه من كشف بعض العورة أثناء الأشغال كما يفعل أتراه، ثم لما اختلفت القبائل في النهاية على شرف إعادة الحجر الأسود وكادوا يقتتلون؛ احتكموا إلى رأي أول من يدخل عليهم؛ فكان ﷺ هو الداخل فقالوا: "هذا الأمين رضينا بحكمه" ففاجأهم بوضع رداءه ليتشرف كل زعماء القبائل برفعه إلى الكعبة ولذا -لما نقلوه- رضي الجميع بأن يرفعه هو بيديه الشريفتين إلى مكانه، ليستيقن الجميع من ظهور ملامح الحكمة والحنكة في شخصيته ليتوج ذلك شهرته بين القبائل بكل الفضائل ... أما في السنوات الأربع الأخيرة 36-40 قبل البعثة فقد حجب الله إليه الخلوة في غار

¹ المباركفوري: المرجع السابق، ص 61-68.

حراء متحنثا متعبدا متفكرا ... كما حدث له مرة أن أحس أو سمع بما يمنعه من إرادة الأكل مما يقدم للأصنام! بل كان يسمع تسليم الشجر والحجر عليه!! وبمن يخبره بنبوته فلا يرى أحدا!!! وحين ولد له ابنه عبد الله سماه الطيب والظاهر لمعايشته بدء النبوة فقد توفي مثل أخيه الأكبر (القاسم)¹.

ثم لما بلغ محمد ﷺ أشده وبلغ أربعين سنة (من منتصف ربيع الأول إلى منتصف رمضان) بدأه الوحي بالرؤيا الصادقة فكان لا يرى مناما إلا تحقق مثل فلق الصبح، حتى فاجأه الملك جبريل ﷺ في ليلة من ليالي العشر الأواخر من رمضان (أواسط أوت 610م) أمرا إياه بالقراءة عدة مرات وهو يجيب: "ما أقرأ" فيضمه إليه بشدة كل مرة وفي الأخير تلا عليه قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق...﴾ فعاد إلى خديجة مرتبكا خائفا على نفسه لكنها طمأنته حين ذكّرت به بأخلاقه الرفيعة وحين ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل -شيخ تخصص في كتب اليهود والنصارى- فأكد لها بأنها النبوة وما سينجر عنها من إيذاء وهجرة ... ولما عاد ﷺ إلى حراء وجاءه الملك عاوده الخوف فنزلت عليه ﴿المزمل﴾ ثم ﴿المدثر﴾ لينقطع الوحي مدة طويلة حتى اشتاقه بل ظن أنه قد فارقه فنزلت عليه سورة ﴿الضحى﴾ ثم ﴿ن والقلم...﴾ وهكذا حمي الوحي بعد ذلك ...²

أعمامُهُ	الحارثُ	والمقومُ	بعد	الزبير	آخرونَ	وهو
غيداقُ عبدكعبة	ضرار		في	الجاهلية	لهم	آثارُ
ثم أبو طالب	مع	أبي لهب	لم	يسلماً	والثاني	في قاع الذهب
أسلم	حمزُهُ	مع	عباس	عماته	بل	شامةٍ في الناس
صفيهُ	أروى	أميم	الحره	عاتكةُ	أم	حكيم
والمرضعاتُ	بثويةُ	بدا	حليمةُ	منه	لها	الخيرُ
فضاعفتُ	مدتهُ	في	سعد	لما	رأتُ	وقومها من سعد
خافتُ	عليه	بعد	شق	الصدر	فأرجعته	لأهيل
وقبلَ	سَبَعٍ	ذاق	فَقَدَ	الأمَّ	وبعدها	بالجدِّ
سعى	أبو	طالبٍ	الشفيقُ	فهُوَ	عمه	الشفيقُ

¹ ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول، تحقيق سيد بن عباس الحلبي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1993، ص28-37.

² - الصلابي، المرجع السابق، ص 49-59.

رعى غنيمات وسافر إلى
 وقد رأى فيه بحيرا الراهب
 فحذر العمّ الذي أعاده
 وشهد الفجّار والفضولا
 بل فاضلا وصادقا أمينا
 فأعجبت به وجاء خاطبا
 مع ثيب في سن الأربعين
 وأنجبت له بنات أربعا
 فذاك قاسم به يُكنى
 وأمّ كلثوم كذاك فاطمة
 في سن خمس وثلاثين بنى
 واختلفوا فيمن ينال السؤددا
 فحكّموا الذي يطلّ أوّلا
 قالوا: الأمين قد رضينا حكمه
 فوضع الحجّر في الرداء
 وعاف جاهليّة عنها نأى
 فجاءه الملك في حراء
 أمره: اقرأ كلام الباري
 فضمّه وبعد خوف أرسله
 فعاد خائفا إلى خديجة
 عند ابن عمها المسمى ورقة
 قال: رأيت الحقّ والناموسا
 وكان للرؤية كالمؤمل
 إذ طلب التزميل والدثارا
 فانقطع الوحي لبعض العام

بصرى لكي يصطحب القوافلا
 ختم النبوة مع المواهب
 ليكمل النشأة فيما اعتاده
 ولم يكن في قومه مفضولا
 خديجة قد شاركته حيناً
 ولم يكن للشهوات طالبا
 تأيّم من قبل مرتين
 وذكرين للوفاة ودعا
 وزينب رقية تُثنى
 منية لعبدالله فاطمة
 مع قومه الكعبة زادها سنا
 برفعه الحجّر ذاك الأسودا
 من باب مسجد فكان الداخلا
 وكل ذي رأي سواه أكمه
 ليحملوه حاسما للداء
 لرأس الأربعين مع صدق الرؤى
 وقد رآه كان خيرا راء
 فقال: ما أقرا ولست القاري
 كررها فرئه قد أرسله
 فطمأنته وابتغى نتيجه
 فكم كتابا قد تلا وورقه
 ذاك الذي به هداانا موسى
 ناداه في المدثر المزمّل
 بعد حنين للقاء ثارا
 وقيل بل بالشهر والأيام

تطلعت عيناہ لآفاق
فنزلت بشرى ﴿الضحى﴾ بذا الكرم
وروحه كالهائم
وحمي الوحي ب ﴿ن﴾ والقلم ﴿المشتاق

نص للمطالعة

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجرا إلى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يزعمون فرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معي ولا أفارقه ولا يفارقني أبدا أو كما قال فخرج به فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له وكان إليه علم أهل النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب فيها إليه يصير علمهم عن كتاب فيما يزعمون يتوارثونه كابر عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببخيري . وكانوا كثيرا ما يمرون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حتى أقبل وغمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتحصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بطعام فصنع ثم أرسل إليهم فقال : إني صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم كبيركم وصغيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم : والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى : صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحدائثة سنة في رحال القوم تحت الشجرة فلما رآهم بحيرى لم ير الصفة التي يعرف ويجده عنده فقال : يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي قالوا : يا بحيرى ما تخلف أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدثنا سنا فتخلف في رحالنا قال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللوات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له : يا غلام : أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يجلفون بهما فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط

بعضهما فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ؟ فقال له : سلمي عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيبته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التي عنده فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني قال بحيرى : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال : فإنه ابن أخي قال فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به قال : صدقت . ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت لبيغنه شرا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

قال ابن إسحاق : فرعموا فيما روى الناس أن زريرا وتاما ودريسا . وهم نفر من أهل الكتاب . قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما رأى بحيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب فأرادوه فردهم عنه بحيرى فذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه و قد ذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن أبا طالب قال في ذلك ثلاث قصائد

هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد منه وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع فقال الحافظ أبو بكر الخرائطي : حدثنا عباس بن محمد الدوري حدثنا قراد أبو نوح حدثنا يونس عن ابن إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب . يعني بحيرى . هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم قال : فنزل وهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هذا سيد العالمين وفي رواية البيهقي زيادة : هذا رسول رب العالمين بعثه الله رحم العالمين فقال له أشياخ من قريش : وما علمك ؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدون إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به . وكان هو في رعية الإبل . فقال : أرسلوا إليه فأقبل وغمامة تظله فلما دنا من القوم قال : انظروا إليه عليه غمامة فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه قال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه قال فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى

الروم فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا قال : فاستقبلهم فقال ما جاء بكم ؟ قالوا : جاءنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس وإنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه قال : فهل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا : لا إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه قال : أفأريتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ فقالوا : لا قال : فبايعوه وأقاموا معه عنده قال : فقال الراهب : أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا :

أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت هكذا رواه الترمذي عن أبي العباس الفضل بن سهل الأعرج عن قراد أبي نوح به والحاكم والبيهقي وابن عساكر من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن عباس بن محمد الدوري به

و هكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزازي مولاهم ويقال له الضبي ويعرف بقراد سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر أحدا جرحه ومع هذا في حديثه هذا غرابة قال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال عباس الدوري : ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح وقد سمعته منه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لغرابته وانفراده حكاها البيهقي وابن عساكر

قلت : فيه من الغرائب أنه من مراسلات الصحابة فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة ولا يلتفت إلى قول ابن إسحاق في جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة وعلى كل تقدير فهو مرسل فإن هذه القصة كانت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ولعل أبا موسى تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون أبلغ أو من بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم أو كان هذا مشهورا مذكورا أخذه من طريق الاستفاضة

الثاني : أن الغمامة ام تذكر في حديث أصح من هذا

الثالث : أن قوله : وبعث مع أبو بكر بلالا إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذلك تسع سنين أو عشرة وعمر بلال أقل من ذلك فأين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب اللهم إلا أن يقال إن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم كبيرا إما بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتي عشرة سنة غير محفوظ فإنه إنما ذكره مقيدا بهذا الواقدي وحكى السهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين قالوا : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بجيرى فقال لأبي طالب بالسر ما قال وأمره أن يحتفظ به فرده معه أبو طالب إلى مكة

المحاضرة (04)

مادة فقه السيرة النبوية [التاريخ الإسلامي]

العبر المستنبطة من النشأة النبوية الطاهرة:

★ في يتمه المتصاعد حكمة مستقبلية تتجلى في أنه لا يترك مطعنا للمتشككين كي يقولوا أن النبوة إنما هي نتيجة توصية والديه وجدده إياه بها؛ ومن تنمة هذه الحكمة عدم إسلام كافله الأخير (عمه) بعد النبوة رغم حمايته له.

★ بدأت فترة الرضاع بالبركات التي حلت على حليلة وأهلها إكراما من الله لنبيه، وانتهت بحادثة شق الصدر -الثابتة في الصحيح- لتكون تطهيرا معنويا لنفسه وإحلالا للعصمة في شخصه، وأخذت العملية شكلا ماديا لتكون من إرهاصات نبوته التي تظهر في مسرح حياته مع أولى لحظات وعيه، وكل تكلف في رد ثبوت الخبر أو تعسف في تأويل دلالة الحادثة إنما ينبع من ضعف الإيمان بالله، ومن عدم الالتزام بالمنطق العلمي.

★ قصة الراهب (بحيرا) الذي عرفه في سفرته الأولى تدل على مدى يقين أحبار اليهود ورهبان النصارى بنبوته ورسالته الخاتمة؛ بحسب ما كان لديهم من بقايا النصوص غير المحرفة في الكتب المقدسة لديهم (كإنجيل برنابا) وبحسب ما بقي إلى اليوم من تلميحات وإشارات بين ثنايا تلك الآيات المحرفة (لفظ فارقليط بمعنى الأحمد) وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا...﴾. الآية من سورة البقرة.

★ في رعيه للغنم دلالة واضحة على نبله إزاء كافله وشهامته المبكرة معه، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن خير مال الإنسان كسبه بيده دون أن يكون عالة على المجتمع، ومن جهة ثالثة فإن المصلح لا يمكن أن يواصل دعوته بنجاح إذا تعيش من عطايا الناس.

★ كان يسيرا على الله أن يجعل نبيه يولد من غير ميولات نفسية نحو المتع الحسية، لكنه سبحانه كان يصرفه عنها في كل مرة كان يميل فيها إلى زخارف الدنيا؛ ليثبت لنا بشريته وكذا إحساسه بعاصم خفي يصرفه عما لا يليق به، ولتبرز لنا العناية الإلهية واضحة في تنشئته لتهيئته للوحي.

★ في مشاهدته لحروب الفجار وحضوره لحلف الفضول تدريب له على ما قد يُضطر إليه من أهوال المعارك وأجواء اللقاءات الدبلوماسية¹.

الحكمة من زواجه بخديجة:

يتهم المستشرقون النبي ﷺ بأنه رجل شهواني؛ ودليلهم هو كثرة زوجاته؛ ولكننا نجد إفحامهم متتاليا في ما يلي:

★ زواجه وهو في سن 25 ★ بينما كانت هي تقارب الـ 40 ★ واقتصاره عليها وحدها واكتفاؤه بها عُمراً مماثلاً (أي ربع قرن آخر) ★ وحزنه على وفاتها حزناً شديداً (عام الحزن) ★ ووفاءه لذكرها بقية عمره ★ إلى درجة أنارت غيرة أحب زوجاته إليه فيما بعد ★ إلى درجة جعلته يرد على غيرتها بلهجة لم تألفها ★ ثم إن السيدة خديجة كانت ثيباً ★ بل إنها تزوجت قبله مرتين ★ ولو أراد الالتفات إلى غيرها لفعل بمباركة المجتمع الذي تقبل أعرافه التعدد بلا حدود ★ أو على الأقل أن تشتري له خديجة أمة أو إماء كما كانت تفعل مثيلاتها ★ ولقد عرضت قريش عليه أثناء الدعوة تزويجه بأجمل النساء لكنه رفض ★ ونجده بعد عام الحزن قد تزوج بأرملة كبيرة (سودة) ★ وبعد الهجرة صار في منصب الحاكم مما اقتضى تعدد الزوجات؛ كل واحدة منهن لها حكمته الخاصة بها ★ إضافة إلى الحكمة العامة منهن جميعاً: تبليغ أحاديثه إلى نساء المؤمنين بعده ★ ثم إن زواجه بكل واحدة هو عقد اجتماعي ليس فيه ما يعيب الرجل؛ شهوانياً كان أم غير شهواني، بل العيب كل العيب في الزنا ولو مع امرأة واحدة! فما بالك بالإكثار من العشيقات بغير عقود!! ثم إدعاء الطهر بالإكتفاء بالزواج بواحدة!!! فهذا لعمر الحق هو العهر (الإدمان على الزنا) بعينه، فهل يسمح للعهر بأن يتهم الطهر؟! بماذا؟ أن الطهر طاهر؟! كما قال قوم لوط ﴿أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون﴾... ونقول للمستشرقين: إذا كانت بيوتكم من زجاج فلا ترموا الناس بالحجارة².

رد شبهات حول ظاهرة الوحي (حديث بدء الوحي):

يحاول المستشرقون جاهدين كي يفسروا لقرائهم الوحي الإلهي إلى خاتم الأنبياء ﷺ بأنه نوع من الصرع أو حديث النفس، وفي أحسن الأحوال بأنه إلهام!!! وما ذاك إلا لأن التشكيك في الوحي هو هدم لكل الدين الإسلامي لذلك تركزت هجوماتهم عليه. لكن الله أراد لنبيه أن يبدأ علاقته

1 - الصلاحي: المرجع السابق، ص 60-62.

2 - الصلاحي: المرجع السابق، ص 63-65.

بالسما على هذا النحو بالذات (حديث بدء الوحي) لئلا يبقى لطاعن مطعن في دين الحق: - لقد كان بالإمكان تسهيل عملية إلتقائه بالوحي عبر التدرج والتلطف إلا أننا وجدنا أنه فوجئ برؤية جبريل بهيئته التي نادرا ما سيلقاه بها، ثم سمع من هذه الهيئة صوتا واضحا ثم ضما شديدا ثم تكرارا لذلك الأمر الخارجي (المرئي والمسموع والملموس) بل إنه عاد إلى أهله يرتعد حائرا -بعد أن تأكد لديه أنه أمر خارجي عنه- فصرح بالانطباع التالي: إنه يخشى أن يكون احتمال الجن واردا في هذه الظاهرة (الخارجية) ليأتيه التأكيد -ولكن من خارج نفسه- بأنه أمر خيري لا شر فيه انطلاقا من دلائل العاطفة والأخلاق لدى خديجة، وانطلاقا من دلائل العقل والتاريخ لدى أحد المتخصصين في دراسة الأديان وأحد الباحثين عن الحق ألا وهو ابن عمها ورقة. لقد كان بالإمكان أن يرجح هو ذاته من البداية مثل هذه الاحتمالات؛ إذن فهي ظاهرة وحي سماوي لكن الله أراد أن تنقطع هذه الظاهرة عدة أشهر حتى اشتاق إليها بنفسه وجزع من انقطاعها بل ألح في طلبها حتى قيل أنه فكر في الانتحار !!! كل ذلك يزيد في تأكيد أن الوحي إنما هو صادر من طرف خارجي عن الذات المحمدية ويهدم دعاوى المستشرقين من أساسها. ونزيد على حديث بدء الوحي أدلة أخرى تؤكد الأمر تأكيدا: - كان النبي ﷺ يأمر بكتابة الآيات التي تنزل عليه ولا يهتم بكتابة أحاديثه هو ! بل ينهى عن ذلك !! بل استمر هذا التمايز بوضوح ودون أدنى التباس إلى غاية وفاته !!! - ومما يلاحظ أيضا أنه كان يُسأل أحيانا فلا يستطيع الإجابة وينتظر الوحي ! وقد يطول الانتظار ثم ينزل الوحي مجيبا !! بل إنه قد يسارع أحيانا إلى الإجابة فينزل الوحي مصححا ! بل قد ينزل معاتبا ! فأين ذلك كله من أحاديث النفس الداخلية والإشراقات الروحية والأمراض العصبية ؟ - ومما يزيد الاعتقاد بالوحي رسوخا ما جاء به الوحي من قصص الأولين ! بل وحتى مكتشفات الآخرين !! كل ذلك ومثلي الوحي أمي !!! فأني له بالأولى فضلا عن الثانية ؟ وصدق الله العظيم إذ قال لنبيه: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذأ لارتاب المبطلون﴾.

نص للمطالعة

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على مالها مضاربة فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجرا إلى الشام وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى نزل الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته . يعني تجارته . التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة فكان ميسرة . فيما يزعمون . إذا كانت المهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلاله من الشمس وهو يسير على بعيره فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعمما كان يرى من إظلال الملائكة إياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامتها فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقربتك ووسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت نفسها عليه وكانت أوسط نساء قريش نسبا وأعظمن شرفا وأكثرهن مالا كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام قال ابن هشام فأصدقها عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت

و روى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس : أن أبا خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو . أظنه قال . سكران ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان قال حدثني إبراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي حدثني عبد الله بن أبي عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن مقسم بن أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل أن عبد الله بن الحارث حدثه أن عمار بن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم

خديجة وما يكثرون فيه يقول : أنا أعلم الناس بتزويجه إياها إني كنت له تريا وكنت له إلفا وخذنا وإني خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى إذا كنا بالحزورة أجزنا على أخت خديجة وهي جالسة على آدم تبيعها فنادتني فانصرفت إليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أما بصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة ؟ قال عمار : فرجعت إليه فأخبرته فقال : [بلى لعمرى] فذكرت لها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : اغدوا علينا إذا أصبحنا فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا أبا خديجة حلة وصفرت لحيته وكلمت أخاها فكلم أباه وقد سقي خمرا فذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه وسأله أن يزوجه فزوجه خديجة وصنعوا من البقرة طعاما فأكلنا منه ونام أبوها ثم استيقظ صاحيا فقال : ما هذه الحلة وما هذه الصفرة وهذا الطعام ؟ فقالت له ابنته التي كانت قد كلمت عمارا : هذه حلة كساها محمد بن عبد الله ختنك وبقرة أهداها لك فذبحناها حين زوجته خديجة فأنكر أن يكون زوجه وخرج يصيح حتى جاء الحجر وخرج بنو هاشم برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءوه فكلموه فقال : أين صاحبكم الذي تزعمون أنني زوجته خديجة ؟ فبرز له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر إليه قال : إن كنت زوجته فسبيل ذلك وإن لم أكن فعلت فقد زوجته

و قد ذكر الزهري في سيره أن أباهما زوجها منه وهو سكران وذكر نحو ما تقدم حكاها السهيلي .

قال المؤملي المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذي زوجها منه .

وهذا الذي رجحه السهيلي وحكاها عن ابن عباس وعائشة قالت : وكان خويلد مات قبل الفجار وهو الذي نازع تبعا حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع في منامه ماروعه فنزع عن ذلك وترك الحجر الأسود مكانه

وذكر ابن إسحاق في آخر السيرة ان أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإله أعلم ، كان ذلك وله صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب: أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثا وأربعين سنة .

المحاضرة (05)

مادة فقه السيرة النبوية [التاريخ الإسلامي]

الدعوة النبوية في العهد المكي

خلاصة الدعوة النبوية من البعثة (أواخر رمضان = أوت 610 م)

إلى الهجرة بداية ربيع الأول 13 للبعثة = 23 سبتمبر 622 م

نشط النبي ﷺ في الدعوة إلى الله؛ حيث آمنت به خديجة وعلي بن أبي طالب وكذا متبناه زيد بن حارثة، وبموازاتهم بادر إلى الإيمان به صديقه الحميم أبو بكر بن أبي قحافة التيمي - تيم قريش - وهو الذي تمكن من إقناع أفراد آخرين في مختلف شرائح المجتمع المكي ومختلف العشائر القرشية، كما آمنة بالدين الإسلامي آخرون من المستضعفين ومن غير المكيين مدة سنوات قليلة أسروا فيها بصلواتهم وتلاوتهم للآيات التي كانت تنزل وبدعوة الناس إلى الدين الجديد، وقد جعل لهم النبي ﷺ لما قاربوا المائة دار الأرقم المخزومي قرب الصفا مقرا لاجتماعاتهم المتكررة ... حتى نزل الأمر الإلهي في مطلع العام الرابع للبعثة بالجهر في عشيرته الأقرين ثم في سائر قومه؛ فجمعهم إليه وفي كل مرة كان عمه أبو لهب يكذبه ويصد الناس عنه فنزلت سورة المسد، أما الموقف الرسمي لقريش - وعلى رأسهم أبو جهل - من هذا الإعلان فهو مقاومته بالسخرية والاستهزاء إلى أن رأوه يسفه أحلامهم ودين أجدادهم وآبائهم ويذكر آهتهم بسوء؛ عندها صعدوا في وتيرة اضطهاد أتباعه على درجات مختلفة من التعذيب، بل وجعلوه يتعرض أحيانا للإيذاء لولا حماية عمه أبي طالب وسائر الهاشميين له، حتى أن عمه حمزة قد أعلن إسلامه بسبب ذلك، هذا وقد حاولت قريش في ثنايا هذا الترهيب فتح باب الترغيب والمفاوضات والمساومات معه بالإغراء والإغواء وذلك عبر وسطاء من كبرائهم (وعقلائهم) كالوليد بن المغيرة المخزومي ثم عتبة بن ربيعة ثم أبو طالب... لكنه ﷺ أظهر ثباتا راسخا على دعوته فازداد جداهم له ثم تعديهم لأكثر أصحابه فاضطر هؤلاء بمشورته للجوء إلى نجاشي الحبشة النصراني الذي آوهم في العام الخامس بل خيب عمرو بن العاص إذ بعثته قريش لردهم، وازداد الإسلام عزة بإيمان عمر بن الخطاب وقيادته مع حمزة لأفواج المصلين بالمسجد الحرام، كل ذلك كان في العام السادس للبعثة، وتنادت قريش في العام الموالي لإندار بني هاشم ثم محاصرهم في شعب

أبي طالب وتجويعهم كي يسلموا محمدا فلم يفعلوا، وكتبت معاهدة المقاطعة وعلقت بالكعبة فدام تنفيذها سنوات ثلاث عجاف؛ رفعت الأصوات في آخرها لإنهاء الحصار ولما أرادوا تمزيق الصحيفة وجدوا أن الأرضة أكلتها كما أخبرهم النبي ﷺ وذلك في مطلع العام العاشر حيث توفي عمه أبو طالب ثم توفيت زوجته خديجة في منتصفه واشتد حزنه عليهما كما اشتد أذى قومه له فسمي عام الحزن، وقد ذهب فيه إلى مدينة الطائف ليدعو أهلها ثقيفا إلا أنهم أغروا به السفهاء فأذوه حتى ألقوه إلى بستان عتبة بن ربيعة وهناك دعا ربه بجرارة فأسلم بين يديه الحارس عداس وهو نصراني من نينوى، وأثناء طريق العودة آمن به نفر من الجن وعادوا إلى قومهم منذرين، ثم دخل مكة في حماية أحد المشركين، ووقعت له أيامئذ حادثة الإسراء والمعراج...¹

¹ - ابن هشام: السيرة، مج 1 ج 2 ص 184-322 وابن كثير، المصدر السابق، ص 38-47. و الصلابي: المرجع السابق، ص 84-226. والمباركفوري: المرجع السابق، ص 80-127.

نص للمطالعة

قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه . وهو التعبد . الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ فقال : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : { اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم } فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة . وأخبرها الخبر . : لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة : يا بن عم ! اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة : يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال ورقة : هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [أو مخرجي هم ؟ !] فقال : نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيما بلغنا . حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رعوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه ففترة الوحي غدا كمثل ذلك قال : فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له : مثل ذلك .

هكذا وقع مطولا في باب التعبير من البخاري قال ابن شهاب : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال . وهو يحدث عن فترة الوحي . فقال في حديثه : [بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض : فرعبت منه فرجعت فقلت : زملوني زملوني فأنزل الله { يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر } فحمى الوحي وتتابع]¹

¹ البخاري: الصحيح، حديث رقم 3، كتاب بدء الوحي، دار الحديث القاهرة، 2004، مج1، ص 5-6.

المحاضرة (06)

مادة فقه السيرة النبوية [التاريخ الإسلامي]

الحكم المستنبطة من مراحل الدعوة في مكة:

★ ينبغي لدعوات الإصلاح ألا تصدم جمهور الناس من البداية حتى تضمن استمراريتها بالانتشار بعدد مناسب بينهم، ورسول الله ﷺ - إذ يقتر السرية مع يقينه بحماية من أرسله- إنما يعلم أمته الأخذ بأسباب الحيطة والحذر والإعداد.

★ يدندن المستشرقون وأذناهم حول مقولة "أن الإسلام إنما هو نتاج البيئة العربية ومحصلة تطور الفكر القومي" ويأتي الرد بسيطاً في: صور المقاومات العنيفة والمتصاعدة لكفار قريش والرأي العام في مكة ضد الدعوة المحمدية/ومحاربتها وحلفائها لدولة المدينة بعد الهجرة/وفي نهاية المطاف دخول كثير من الأعراب على مفض للإسلام بعد انتشار سلطته/ثم كانت حروب الردة ضد أكثر القبائل العربية فور وفاة النبي ﷺ.

★ إن المرور بمرحلة الاضطهاد هو سنة الله في الأولين ليمحص المخلصين الذين يدعون إلى الحق ويتواصون على الصبر في دعوتهم رغم أنهم يسألون الله العافية ولا يتمنون البلاء إلا أنهم يعلمون أن أشد الناس بلاء الأنبياء فالصالحون فالأمثل فالأمثل، وهكذا حصل للسابقين ما جعل اللاحقين يوقنون بعظمتهم وصدقهم وإخلاصهم؛ مما حتمّ عقلاً فضلهم على من سواهم.

★ حث الرسول ﷺ أتباعه على الصبر لا يعني أنه لم يكن يأبه لمصير دعوته بل العكس؛ لقد كان ذلك هو همه إذ أشار عليهم بالحبشة لضمان الأمان فيها، وبحث بنفسه في الطائف وبين وفود القبائل الزائرة لمكة عمن ينصر دعوته؛ مما يعني عدم الكلل والملل من وجود المناصرين.

★ دعوة الرسول ﷺ عشيرته أولاً ثم قومه ثم العرب ثم غيرهم ... معناه أن يبرئ المصلحون ذمهم من المحيط القريب بهم قبل الانتقال إلى المحيط الذي يليه وهكذا ...

★ أما المفاوضات المتنوعة في عرض الإغواء والإغراء والتي تخللت الاستهزاء والإيذاء فتدل على عدم تلبس النبي ﷺ بما يظهره -عادة- أصحاب الدعوات؛ ومما يدعم ذلك ويطعمه شدة زهده ﷺ في الدنيا إلى آخر لحظة ... كما أن المفاوضات جاءت لتعلم الدعاة بأن فتح هذا الباب ليس معناه أن

تصل بهم دعاوى الحكمة والمرونة إلى الميكيفيلية والوصولية بحيث تتهاوى الثوابت والمبادئ واحدة بعد أخرى ؛ وما سبب نزول ﴿عبس﴾ إلا دليل على ذلك.

★ إن اشتداد الأذى على النبي ﷺ لا يتناقض مع العصمة؛ فهذه الأخيرة حماية من الله لرسوله من كل ما يوقف دعوته؛ ثم إنه لو نجح بلا مشقة لاستثقلت أمته من بعده مشاق الدعوة؛ ولذا جاء عام الحزن ليجلي لنا الحماية الحقيقية التي وراءه، وشاء الله أن يموت أبو طالب في هذه اللحظات العصيبة من عمر الدعوة لئلا يتوهم متوهم أن أبا طالب كان وراء انتصارها في ما بعد أو أن النبي ﷺ محظوظ دون سائر صحابته المضطهدين ...

★ ويحاول بعض المستشرقين أن يبرزوا معاني البطولة والعبقرية دون النبوة في شخصية محمد ﷺ لتتضاءل معاني الوحي في أذهان قرائهم المسلمين إلى درجة قريبة من الصفر، مع أن صفة الاصطفاء الإلهي هي حجر الزاوية؛ فلا ينبغي لمؤمن أن يستبعد أية معجزة بعد إيمانه بالوحي إن ثبتت المعجزة في حقه -طبعاً- فمثلاً: نجد الماء قد جرى بين أصابعه الشريفة عيوناً وشرب منها أصحابه وارتووا ورووها للأجيال الموالية متواترة، وكذلك الأمر بالنسبة للإسراء ... ثم إن هذه المعجزة قد جاءت تكريماً من الله لحبيبه وتجديدا لعزيمته وأن الله لم يتخل عنه، كما أن اختيار المقدس إنما هو للدلالة على الارتباط برسالة المسيح ﷺ التي قبله مباشرة وبكل رسالات إخوانه الأنبياء حول رابطة الدين الواحد الذي يهيب بأتباع كل الأنبياء (وهم المسلمون فقط) ليحافظوا على البلد المقدس ﴿الذي باركنا حوله﴾ من أطماع نصارى الصليب مثلما فعل صلاح الدين، أو من أطماع يهود صهيون مثلما نحن معنيون إزاءه اليوم¹.

وهكذا انطلق بعدها داعيا التجار والعمار والحجاج وزوار مكة من مختلف القبائل، فأعرض أكثرهم إلا وفوداً من الخزرج ثم من الأوس؛ وهم سكان مدينة يثرب الذين يجارون اليهود فيها، وقد سئل عليهم تقبل الدعوة النبوية حينما عرضها عليهم مصعب بن عمير -وهو أول سفير في الإسلام- ولعل أهم أسباب هذا الإقبال السريع منهم ما يلي:

● الملل من الحروب المتبادلة بين الأوس والخزرج التي لا تبدو لها نهاية في الأفق ووصولهم جميعاً إلى طريق مسدود.

● ميل الرأي العام إلى ضرورة توحيد القبيلتين وبدء المساعي لتكوين دويلة في يثرب.

1 - الصلابي: المرجع السابق، ص 226-230.

- اختلاف عرب يثرب عن سائر العرب في قضية تعاملهم مع المصطلحات الدينية التي جاء بها الإسلام لطول مجاورتهم لليهود وتحادثهم معهم في هذه القضايا.
- توعد اليهود لمن جاورهم من العرب بقرب مجيء آخر نبي منتظر وأنهم سيسيطرون من خلاله على العالم كله.

وهكذا عاد الوفد اليثربي في مواسم الحج الموالية بإسلام من خلفهم، فبايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الأولى ثم الثانية على نصرته، لذا أمر أصحابه بالهجرة إليهم ليلتحق بهم مع أبي بكر رغم مطاردة قريش لهما وكادوا أن يكتشفوها في غار ثور - جنوب مكة - وتواصلت رحلتها مخوفة بالمخاطر إلى أن استقبلا في قباء ثم في يثرب استقبالا حارا. وهكذا بدأ النبي ﷺ تأسيس دولته الجديدة ببناء المسجد للصلوات والتعليم والتشاور وكذا بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ثم كتابة دستور المدينة لينظم تحت سلطته العلاقات الداخلية بين المواطنين (مسلمين كانوا أم يهودا أم غيرهم ...) وقد تلخصت بنودها الخمسون في المحاور التالية:

- أن المسلمين أمة واحدة دون الناس.
 - أنهم جميعا على من بغى عليهم ولو كان واحدا منهم.
 - أن لغير المسلمين من سكان المدينة نفس الحقوق إذا التزموا بالدفاع عن المدينة.
 - النبي ﷺ هو الحاكم الأعلى للجميع في المدينة.
- هذا، ولما صادرت قريش ممتلكات المهاجرين لديها نزل الإذن الإلهي بالقتال دفاعا عن الدعوة إلى الدين ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ لكن النبي ﷺ لم يبادر إلى الغزوات وبعث سرايا إلا حينما سقطت في يده رسالة سرية من قريش إلى عبد الله بن أبي بن سلول زعيم الخزرج تحته على الإسراع في الانقلاب على السلطة الجديدة! لتبدأ في نهاية العام الأول الهجري أولى السرايا وفي مطلع العام الثاني أولى الغزوات¹.

¹ - ابن كثير، المصدر السابق، ص47-57. و الصلابي: المرجع السابق، ص236-327. والمباركفوري: المرجع السابق، ص139-163.

نص للمطالعة:

قال ابن إسحاق : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها : ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار ابن ياسر وهو يشك فيه قلت : وذكر ابن إسحاق أبا موسى الأشعري فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب جداً وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى سمعت حديجا أخوا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخل على النجاشي سجداً له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له : إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال : فأين هم ؟ قالوا : في أرضك فابعث إليهم فبعث إليهم فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال : وما ذاك ؟ قال : إن الله بعث إلينا رسولا ثم أمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة قال عمرو : فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم قال : فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه قال : نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسهما بشر ولم يفرضها ولد قال : فرفع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم أنزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه ! وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة إن لم يكن مدرجاً من بعض الرواة والله أعلم.

وقد روى عن أبي إسحاق السبيعي من وجه آخر فقال الحافظ أبو نعيم في الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا الحسن بن علوية القطان حدثنا عباد بن موسى الختلي حدثنا إسماعيل بن جعفر حدثنا إسرائيل وحدثنا أبو أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيروية حدثنا إسحاق

بن إبراهيم هو ابن راهويه حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي بردة عن أبي موسى قال :

أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننتقل مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن العاص وعمار بن الوليد وجمعوا للنجاشي هدية وقدموا على النجاشي فأتياه بالهدية فقبلها وسجدا له ثم قال عمرو بن العاص : إن ناسا من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك قال لهم النجاشي : في أرضي ؟ ! قالوا : نعم فبعث إلينا فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد أنا خطيبكم اليوم فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره والقسيسون جلوس سماطين وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل فلما انتهينا إلى النجاشي قال : ما منعك أن تسجد ؟ قال : لا نسجد إلا لله فقال له النجاشي : وما ذاك ؟ قال : إن الله بعث فينا رسولا وهو الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه أحمد فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر فأعجب النجاشي قوله فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبكم في ابن مريم قال : يقول فيه قول الله هو روح الله وكلمته أخرجته من العذراء البتول التي لم يقرها بشر ولم يفرضها ولد فتناول النجاشي عودا من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القسيسين والرهبان : ما يزيدون هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزن هذه مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه امكثوا في أرضي ما شئتم وأمر لنا بطعام وكسوة وقال : ردوا على هذين هديتهما...

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن طريق أبي علي الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى فذكر بإسناده مثله إلى قوله : فأمر لنا بطعام وكسوة قال : وهذا إسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى : إنهم بلغهم مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين رجلا في سفينة فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم فأمره جعفر بالإقامة فأقاموا عنده حتى

قدموا عنده حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خبير قال : وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي فأخبر عنه قال : ولعل الراوي وهم في قوله : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق) والله أعلم.

وهكذا رواه البخاري في باب هجرة الحبشة : حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا بريد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فركبنا سفينة فألقننا سفننا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فأقمنا معه حتى قدمنا فوافينا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم [(لكم أنتم أهل السفينة هجرتان)] وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن براد كلاهما عن أبي أسامة به وروياه في مواضع آخر مطولا والله أعلم.

و أما قصة جعفر مع النجاشي فإن الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه من رواية نفسه من رواية عمرو بن العاص وعلى يديهما جرى الحديث ومن رواية ابن مسعود كما تقدم وأم سلمة كما سيأتي :

فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جدا رواها ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقندي عن أبي طاهر المخلص قال : حدثنا أبو عبد الرحمن الجعفي عن عمر بن أبان ن حدثنا أسد بن عمرو البجلي عن مجلد بن سعيد عن الشعبي عن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي فقالوا له ونحن عنده : قد صار إليك ناس من سفلتنا وسفهائنا فادفعهم إلينا قال : لا حتى أسمع كلامهم قال : فبعث إلينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال : قلنا هؤلاء قوم يعبدون الأوثان وإن الله بعث إلينا رسولا فآمنا به وصدقناه قال لهم النجاشي : أعبيد هم لكم ؟ قالوا : لا فقال فلکم عليهم دين ؟ قالوا : لا قال : فحلوا سبيلهم قال : فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص : إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول

قال : إن لم يقولون في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار فأرسل إلينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الأولى قال : ما يقول صاحبكم في عيسى ابن مريم ؟ قلنا : يقول : هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول قال : فأرسل فقال : ادعوا لي فلان القس و فلان الراهب فأتاه ناس منهم فقال : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقالوا : أنت أعلمنا فما تقول ؟ قال النجاشي وأخذ شيئا من الأرض قال : ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ثم قال : أيؤذيكم أحد ؟ قالوا :

نعم فنأدى مناد : من آذى أحدا منهم فأغرموه أربعة دراهم ثم قال : أيكنفيكم ؟ قلنا : لا فأضعفها قال : فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وظهر بها قلنا له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر وهاجر إلى المدينة وقتل الذين كنا حدثناك عنهم وقد أردنا الرجيل إليه فردنا قال : نعم فحملنا وزودنا ثم قال : أخبر صاحبك بما صنعت إليكم وهذا صاحبي معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله وقل له يستغفر لي قال جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتنقني ثم قال : ما أدري أنا بفتح خير أفرح أم بقدوم جعفر! ووافق ذلك فتح خير.

ثم جلس فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا فقال : نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا وشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله وقال لي : قل له يستغفر لي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات : اللهم اغفر للنجاشي فقال المسلمون : آمين ثم قال جعفر : فقلت للرسول: انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ابن عساکر : حسن غريب.

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحق حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : لما ضاقت مكة وأوذى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمه لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابه [فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه] فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ولم نخش فيها ظلما فلما رأيت قريش أنا قد أصبنا دارا وأمنا غاروا منا فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجنا من بلاده وليردنا عليهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة فجمعوا له هدايا ولبطارقه فلم يدعوا منهم رجلا إلا هياؤا له هدية على حدة وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ثم ادفعوا إليه هداياه فإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا فقدموا عليه فلم يبق بطريق من بطارقه إلا قدموا إليه هديته فكلموه فقالوا له : إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا دينكم فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم فإذا نحن كلمناه فأشيروا

عليه بأن يفعل فقالوا نفعل ثم قدموا إلى النجاشي هداياه وكان من أحب ما يهتدون إليه من مكة الدم وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرسا وجبة ديباج فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه وقد لجأوا إلى بلادك وقد بعثنا إليك فيهم عشائرتهم آبائهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم فإنهم أعلى بهم عينا فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردهم عليهم حتى أدعوهم فأكلمهم وأنظر ما أمرهم قوم لجأوا إلى بلادي واختاروا جوارى على جوارى غيري فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينهم وبينهم ولم أنعم عينا.

وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردهم إليهم فقال : لا والله حتى أسمع كلامهم وأعلم على أي شيء هم عليه فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له فقال : أيها الرهط ألا تحدثوني مالكم لا تحيوني كما يحييني من أتانا من قومكم ؟ ! فأخبروني ماذا تقولون في عيسى وما دينكم ؟ أنصاري أنتم ؟ قالوا : لا قال : أفيهود أنتم ؟ قالوا : لا قال : فعلى دين قومكم ؟ قالوا : لا قال : فما دينكم ؟ قالوا : الإسلام قال : وما الإسلام ؟ قالوا نعبد الله لا نشرك به شيئا قال : من جاءكم بهذا ؟ قالوا جاءنا به رجل من أنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وأداء الأمانة ونهانا أن نعبد الأوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبي الصادق وكذبوه وأرادوا قتله وأرادونا على عبادة الأوثان ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا قال : والله إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى قال جعفر : وأما التحية : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام وأمرنا بذلك فحينئذ بالذي يحيي بعضنا بعضا وأما عيسى ابن مريم فعبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول فأخذ عودا وقال : والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك فقال : والله لا أقول في عيسى غير هذا أبدا وما أطاع الله الناس في حين رد على ملكي فأطبع الناس في دين الله معاذ الله من ذلك وقال يونس عن ابن إسحاق : فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء أبغض لعمر بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا : ماذا تقولون ؟ فقالوا : وماذا تقول ! نقول والله ما

نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم كائن من ذلك ما كان قلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له النجاشي : ما هذا الدين الذي أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية فقال له جعفر : أيها الملك كنا قوما على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسئ الجوار يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها لآنحل شيئا ولا نحرمة فبعث الله إلينا نبيا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه أما ننته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الأرحام ونحمي الجوار ونصلي الله عز وجل ونصوم له ولا نعبد غيره وقال زياد عن ابن إسحاق : فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قال : فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا ويردوننا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك قالت : فقال النجاشي : هل معك شيء مما جاء به ؟ فقرأ عليه صدرا من (كهيعص) فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى انطلقوا راشدين لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينا فخرجنا من عنده وكان أبقى الرجلين فينا عبد الله بن ربيعة فقال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا بما أستأصل به خضراءهم ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد عيسى بن مريم عبد ! فقال له عبد الله بن ربيعة : لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحما ولهم حقا فقال والله لأفعلن فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولا عظيما فأرسل إليهم فسلهم عنه فبعث والله إليهم ولم ينزل بنا مثلها فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون له في عيسى إن هو يسألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذي قاله فيه والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه فدخلوا عليه وعنده بطارقه فقال : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فدلى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عودا بين إصبعيه فقال : ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت

هذا العويد فتناخرت بطارقتة فقال : وإن تناخرتم والله ! اذهبوا فأنتم شيوم في الأرض الشيوم :
الآمنون في الأرض من سبكم غرم من سبكم غرم من سبكم غرم ثلاثا ما أحب أن لي دبيرا وأني
آذيت رجلا منكم والدبر بلسانهم : الذهب وقال زياد عن ابن إسحاق : ما أحب أن لي دبيرا من
ذهب قال ابن هشام : ويقال : زبرا وهو الجبل بلغتهم ثم قال النجاشي فو الله ما أخذ الله مني الرشوة
حين رد على ملكي ولا أطاع الناس في فأطيع الناس فيه ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها
واخرجنا من بلادي فخرجنا مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به قالت فأقمنا مع خير جار في خير
دار ...



مخطط تقريبي للمدينة المنورة في العهد المدني

أول من آمن في الرجال
هو الفتي ابن عمه علي
كذاك زيد وبنات النبي
عثمان سعد طلحة زبير
ثم ابن مسعود مع ابن عوف
من بعد ذلك الحبشي بلال
ثم أبو ذر مع ابن عنبسة
والراوي أبدى ظنه وشكه
ثلاثة الأعوام سرًا فاعلم
والجهر بالدعوة بدءًا بالصفاء
﴿تبت يدا﴾ عمه ذا أبي لهب
أم جميل إبنة لحرب
والنضر بالقصص والتخليط
وفشلوا إذ وسطوا العمّ الحليم
هما الوليد عتبة إذ نزلت
تعرض الصحب للاضطهاد
ولجأ البعض إلى الأحباش
خيبتها إذ عَزَّ في الخطاب
أسلم بعد حمزة المغوار
فحوصرت هاشم في الشعاب
قال: صحيفتكمو منقرضة
موث أبي طالب مع خديجة
سعى إلى ثقيف وسط الطائف
وسلطوا لضربه كل سفية
وجاءه عداس بالأعنان

صديقه الصديق ثم التالي
أو قبله أو أنه الصبي
في الآل والصحب لسبق الرثب
قد نالهم في السابقين خير
سعيدهم آمن دون خوف
صهيب روم أول الموالي
رابع هذا الجمع قيل خامسه
والثابت السبق في غير مكة
إذ آمن الخمسون قبل الأرقم
فأنذر الناس وأظهر الوفا
إذ سبّه مع زوجه ذات الخطب
قاد أبو جهل لواء الحرب
أما الأذى فعقبه المعيطي
أو رجلاً من قريتهمو عظيم
بعض المدثر وبعض ﴿فصلت﴾
ووالدا عمار لاستشهاد
فأرسلت قريش للنجاشي
وصدمت في عمر الخطاب
فقررت تطبيق ذا الحصار
ثلاثة الأعوام في الصعاب
فوجدوها أكلتها الأرضه
أوجد لاعتدائهم وليجه
وظل بين أهلها كالطائفي
وحائط لابني ربيعة يقية
مقبلاً أقدام ذي الأعتاب

وطالبا رضاه منه فارتوى
 عليه في نخلة حيث استمعوا
 ورجع النبي في الجوار
 مبشراً بقرب الانفراج
 كما دعا التجار والزوارا
 لدينه وجدّه معارضا
 من خزيح إذ اهتدى ثم نفر
 بالمنع من مهديّ مخيف
 في سنة من بعد حزن تالية
 مهاجرون نحو تلك الدار
 مع آل وآل ذا الصديق
 إذ خبر الفتك إليهما نما
 نام علي في فُرشه ليوهما
 فأصبحوا في البحث مثل الهائم
 جائزة بمائة من الإبل
 فقال للصديق دون خوف:
 لا تحزن إنه النصير الوارث"
 سدّ فم الغار بأوهن البيوت
 عن الثلاثة وهم صحب النبي
 يروي عن المجهول راوٍ نكره
 إلا الذي عن الثقات آت
 في خبرٍ احتفّ بالقرائن
 عن جزريّ مقسم يفسر
 بمرسلٍ وهو شاهدٌ حسن
 معجزه قد رؤيت براقه

ثم اشتكى لربه ضعف القوى
 آمن بعض الجن حين اجتمعوا
 ورجعوا للجن بالإندار
 أكرم بالإسراء والمعراج
 ثم دعا الحجاج والعمارا
 وكلّ وفد قد أتاه عارضا
 إلا الذي قد كان من ذاك نفر
 وباعوا في عقبات الخيف
 في بيعة أولى وأخرى ثانية
 فرّ إلى ضيافة الأنصار
 وبقي النبي في التضييق
 حتى أتى الإذن بهجرتهما
 فأسرعا لغار ثورٍ بينما
 كفارهم أن النبي نائم
 وجعلوا لمن يجده في السبيل
 رأهم النبي قرب الكهف
 "ما الظن باثنين وربي ثالثُ
 فردّ عنهما بنسج العنكبوت
 زاد عوين عن أبي لمصعب
 حمامتين وتدلي الشجرة
 وليس يُقبل كمعجزات
 فمثلُ نسج العنكبوت كائن
 أحمد عن عبد الرزاق معمر
 عن ابن عباس وصح عن حسن
 ورويت ل (معبد) (سراقه)

إذ ازدهتْ بمقدمِ (قباء)
و(يثرِب) لما إليها أتيا
آخى المهاجرين مع أنصار
بين النبي ويثرِب اليهود

مطاردوهم بالخسار باءوا
أول مسجد بها قد بُنيا
إذ بركت (قصواء) في النجار
وكتبت صحيفة العهد

المحاضرة (07)

مادة فقه السيرة النبوية [التاريخ الإسلامي]

خلاصة الغزوات والسرايا

أولاً: المرحلة الدفاعية (1-5 هـ)

* بعث الرسول صلى الله عليه وسلم أربع سرايا بجيوشه في أربع غزوات تجاه الساحل وتجاه مكة لتهديد قوافل قريش - وإن لم يلحقها - ومحالفة القبائل ولو بتحبيدها (كجهينة وضمرة ومدلج).
* ثم خرج في 314 صحابياً من المهاجرين والأنصار لقطع قافلة أبي سفيان العظيمة العائدة من الشام، فاستقر أبو جهل ألفاً من قريش لحمايتها وفي منتصف الطريق علم بنجاحها فأصر على القتال، بينما كان الرسول يستشير أصحابه وخصوصاً الأنصار -مراعاة لبيعة العقبة- فأشاروا بالقتال، فتقدم بهم مستبشراً إلى أبار بدر وأخذ برأي الحباب في الاستيلاء على جميع الآبار كما أخذ برأي سعد بن معاذ في بناء عريش له، ولما التقى الجيشان بدأت المبارزة بأن قتل حمزة علي وعبدة كلا من عتبة وابنه وأخيه واندلعت المعركة وثبت الله المؤمنين بملائكته والهزم المشركون تاركين قادتهم ضمن 70 قتيلًا و70 أسيراً بينما استشهد 14 صحابياً وقرر الرسول بعد عودته ومشاورته حول الأسرى أن يقبل فدائهم بالمال أو بتعليم صبيان المسلمين الكتابة¹.

* حاصر الرسول صلى الله عليه وسلم يهود بني قينقاع حتى طردهم من المدينة وبعث من يقتل مهدييه من المتهودين كما خرج مرات شرقاً وجنوباً لضرب حلفاء قريش وتهديد مكة كما طارد أبا سفيان حين أغار على المدينة ثم بعث سرية لقطع الطريق النجدية لقوافل قريش.

¹ ابن هشام: السيرة النبوية، مج1، ج2، ص440-508.

<p>سرية حمزة إلى العيص بالساحل في رمضان - سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ في شوال - سرية سعد إلى الخزار (حسب رواية ابن سعد عن الواقدي)</p>	<p>في سنة 1 هـ</p>
<p>حسب روايات موسى بن عقبة عن الزهري وروايات ابن إسحاق فإن سرايا عبيدة وحمزة وسعد إنما وقعت في هذه الفترة على خلاف بينهما في ترتيب الأولى والثانية</p> <p>سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة قرب مكة في شهر رجب.</p> <p>غزوة بدر الكبرى في 17 رمضان.</p> <p>غزوة بني سليم بالكدر في أول شوال</p> <p>قتل سالم بن عمير لأبي عفك المتهود في شوال..</p> <p>غزوة بني قينقاع لطرد يهودها في منتصف شوال</p> <p>قتل عمير بن عدي الخطمي الضيرير لامرأة متهودة.</p> <p>غزوة السويق أو قرقرة الكدر في ذي الحجة.</p>	<p>في سنة 2 هـ ابتداء من 5 جويلية 623 م</p>

* خرج أبو سفيان في ثلاثة آلاف من قريش وأحلافهم من كنانة لينتقم من المسلمين واقترب من جبل أحد شمال المدينة وكان الرسول قد علم بهم من عمه العباس، فاستشار أصحابه كعادته ونزل على رأي الأغلبية فخرج في ألف، وانسحب ثلاثمائة منهم مع أبي المنافق وجعل الرسول على جبل (عينين) خمسين راميا لحماية ظهره من الفرسان، واندلعت المعركة فانهزم المشركون بعد مقتل ثلاثين منهم ونزل الرماة من أماكنهم للمشاركة في الغنيمة فأحاط بهم الفرسان من الخلف وعاد المشركون إلى القتال فاضطرب المسلمون ولكن الأنصار خاصة استبسلوا في حماية رسول الله حيث أشيع مقتله حتى أصعدوه إلى جبل وتوقفت ملاحقات قريش التي مثلت بالشهداء السبعين - وعلى رأسهم حمزة¹ وفوجئت قريش أثناء عودتها بأن جيش المسلمين يطاردهم فأسرعت بالعودة حفاظا على النصر المنتزع بصعوبة! وبقي النبي بجيشه ينتظرهم في حمراء الأسد.

¹ ابن هشام: السيرة النبوية، مج2، ج3، ص17-75.

غزوة ذي أمر بنجد ضد غطفان في آخر صفر	في سنة 3 هـ
قتل محمد بن مسلمة لكعب بن الأشرف اليهودي في منتصف ربيع الأول.	ابتداء من 24
غزوة الفرع أو بجران ضد بني سليم أو قريش في أول ربيع الثاني.	جوان 624 م
سرية زيد إلى القردة ضد تحويل القوافل قريش في جمادي الأول والثاني.	
غزوة أحد يوم السبت 15 شوال	
وتليها مباشرة في 16 منه غزوة حمراء الأسد (مطاردة).	

* شهد العام الرابع بعض السرايا والبعوث شرقا وجنوبا ضد الأعراب وقريش، ونجح بعضها وتعثر بعضها -بشكل مأساوي أحيانا- وأما يهود بني النضير الذين حاولوا اغتيال النبي فقد حاصروهم وطردوهم بينما تخلفت قريش عن موافاته في بدر حسب الموعد، وفي العام الخامس وصل تهديد النبي إلى قبائل أقصى الشمال (دومة الجندل) وأقصى الجنوب (بني المصطلق) قرب مكة.

سرية أبي سلمة إلى قطن ضد بني أسد في أول محرم.	في سنة 4 هـ
بعث عبد الله بن أنيس الجهني لقتل سفيان بن خالد الهذلي قرب مكة نهاية محرم.	ابتداء من 13
سرية عاصم إلى الرجيع حيث قتلهم اللحيانون شهر صفر.	جوان 625 م
سرية القراء إلى بئر معونة حيث قتلهم بنو سليم في صفر أيضا.	
بعث عمرو بن أمية الضمري في محاولة لقتل أبي سفيان -ردا بالمثل-.	
غزوة بني النضير لطردهم يهودها في ربيع الأول.	
غزوة ذات الرقاع في نجد ضد غطفان في جمادي الأول (والراجح أنها بعد خيبر ولعلها غزوتان).	
غزوة بدر الآخرة (الموعد) في شعبان أو ذي القعدة.	

* تجمعت قبائل كثيرة بتحريض اليهود قيادة قريش في عشرة آلاف مقاتل مما لا قبل للمسلمين به، فاستشار النبي أصحابه كعادته فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق الذي اصطدمت به جيوش العدو واستحال عليهم اقتحام المدينة واشتد الحصار على المسلمين، وكاد النبي أن يغري بعض القبائل بجزء من غلات المدينة لولا أن الأنصار أشاروا عليه بالتمهل، أما قريش فكادت تنجح في الأنفاق مع يهود بني قريظة الباقين في المدينة كي يخونوا النبي، لولا أن أحد جواسيس المسلمين أفسد عليهم ذلك بزرع الشك بينهم، فلما اشتدت العواصف رحل أبو سفيان بقريش ورحلت جيوش

القبائل فالتفت النبي إلى قريظة يحاصرهم حتى زلوا على أن يحكم فيهم أن يحكم فيهم سعد بن معاذ الذي كان محتضر، فحكم بقتل رجالهم وسبي الباقي¹.

غزوة بني المصطلق بالمريسيق قرب جدة في شعبان.	في سنة 5 هـ
غزوة دومة الجندل في شهري ربيع. - غزوة الخندق ضد الأحزاب (قريش واليهود وقبائل الأعراب) في شوال. - غزوة بني قريظة لقتل يهودها في ذي القعدة.	ابتداء من 02 جوان 626 م

¹ - ابن كثير، المصدر السابق، ص 57-103. و الصلابي: المرجع السابق، ص 363-637. والمباركفوري: المرجع السابق، ص 184-280. وابن هشام: السيرة النبوية، مج 2، ج 3، ص 127-175.

نص للمطالعة:

و هكذا روى عن الشعبي والزهري وغيرهما أنه كانوا ليلتذ ستة نفر من الخزرج وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهري وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم : معاذ بن عفراء وأسعد بن زرارة ورافع بن مالك وذكوان وهو ابن عبد قيس وعبادة بن الصامت وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فأسلموا وواعدوه إلى قابل فرجعوا إلى قومهم فدعوههم إلى الإسلام وأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلا يفقهنا فبعث إليهم مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن إسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة والله أعلم.

قال ابن إسحاق : فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوههم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم تبقى دار من الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ذكره وعوف بن الحارث المتقدم وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء ورافع بن مالك المتقدم أيضا وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر ابن زريق الزرقى قال ابن هشام : وهو أنصارى مهاجرى وعبادة بن الصامت بن قيس ابن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم البلوى والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلاني وعقبة بن عامر بن نابي المتقدم وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم فهؤلاء عشرة من الخزرج ومن الأوس اثنان وهما : عويم بن ساعدة وأبو الهيثم مالك بن التيهان.

والمقصود أن هؤلاء الاثنى عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ وعزموا على الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهي العقبة الأولى.

وروى أبو نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم من قوله في سورة إبراهيم ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ إلى آخرها.

وقال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة وهو ابن الصامت قال كنت ممن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلا : فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض الحرب على ألا

نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيهم فلکم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر.

وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به نحوه. قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله أبي إدريس الخولاني أن عبادة بن الصامت حدثه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيهم فلکم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذه في الدنيا فهو كفارة له وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله إن شاء غفر.

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرها من طرق عن الزهري به نحوه. وقوله : على بيعة النساء يعنى على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية وكان هذا مما نزل على وفق ما عليه أصحابه ليلة العقبة وليس هذا عجيباً فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن كما بيناه في سيرته وفي التفسير وإن كان هذه البيعة وقعت عن وحي غير متلو فهو أظهر والله أعلم.

قال ابن إسحاق : إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج من خراج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة من أواسط أيام التشريق حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيه إعزاز للإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله فحدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله بن كعب وكان من أعلم الأنصار حدثه أن أباه كعباً حدثه وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء : يا هؤلاء إني قد رأيت رأياً والله ما أدري أتوافقونى عليه أم لا ؟ قلنا : وما ذلك ؟ قال : قد رأيت أن لا أدع هذه البيعة منى بظهر يعني الكعبة وأن أصلى إليها قال : فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه فقال : إني لمصل إليها قال : فقلنا له : لكننا لا نفعل قال : فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة قال : وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبى الإقامة على ذلك فلما قدمنا مكة قال

لي : يا أخى انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا فإنه قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا فقال : هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس قال : فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه فسلمنا ثم جلسنا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : [هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟] قال : نعم هذا البراء بن معمر سيد قومه وهذا كعب بن مالك.

قال : فو الله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم ؟ فقال له البراء بن معمر : يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا قد هداني الله تعالى للإسلام فأريت ألا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى ؟ قال [قد كنت على قبلة لو صبرت عليها] قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى معنا إلى الشام قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أواسط أيام التشريق فلما فرغنا من الحج وكانت اللية التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ومعنا عبد الله بن عمرو بن أبو جابر سيد من ساداتنا أخذناه وكنا نكلم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنما نرغب بك عما أنت فيه أن تكون إيانا العقبة قال فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا وقد روى البخارى حدثني إبراهيم حدثنا هشام أن ابن جريح أخبرهم قال عطاء قال جابر : أنا وأبي وخالاي من أصحاب العقبة قال عبد الله بن محمد : قال ابن عيينه : أحدهما البراء بن معمر حدثنا علي بن المديني حدثنا سفيان قال كان عمرو يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهد بي خالاي العقبة

وقال الإمام أحمد : [حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم عكاظ ومجنة في الموسم يقول : من يؤويني ؟ من ينصرنى ؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة] فلا يجد أحدا يؤويه ولا ينصره حتى

إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر ن كذا قال فيه فيأتيه قومه وذوو رحمة فيقولون : احذر غلام قريش لا يفتنك ويمضي بين رحالمهم وهم يشترون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله من يثرب فأويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم تبق دار من الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمون يظهرون الإسلام ثم ائتمروا جميعا فقلنا : حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة عندها من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا : يا رسول الله نبايعك؟ قال : [تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة] فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم وفي رواية البيهقي : وهو أصغر السبعين إلا أنا فقال : رويدا يا أهل يثرب فإننا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وإن إخراجهم اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله وأما أنتم قوم تخالفون من أنفسكم خيفة فذروه فينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله قالوا أمط عنا يا أسعد فو الله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبدا قال : فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة

وقد رواه الإمام أحمد أيضا والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن العطار.

زاد البيهقي عن الحاكم بسنده إلى يحيى بن سليم كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي إدريس به نحوه وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه.

وقال البزار : وروى غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عبد الله عن أبي الزبير عن جابر قال : كان العباس آخذا بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يواثقنا فلما فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخذت وأعطيت.

وقال البزار : [حدثنا محمد بن معمر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان هو الثوري عن جابر يعني الجعفي عن داود وهو ابن أبي هند الشعبي عن جابر يعني ابن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء من الأنصار : تؤوونني وتمنعوني ؟ قال : نعم قالوا : فما لنا ؟ قال : الجنة] .

ثم قال : لا نعلمه يروي إلا بهذا الإسناد عن جابر.

ثم قال ابن إسحاق عن معبد عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك قال : فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نساءنا نسيية بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع

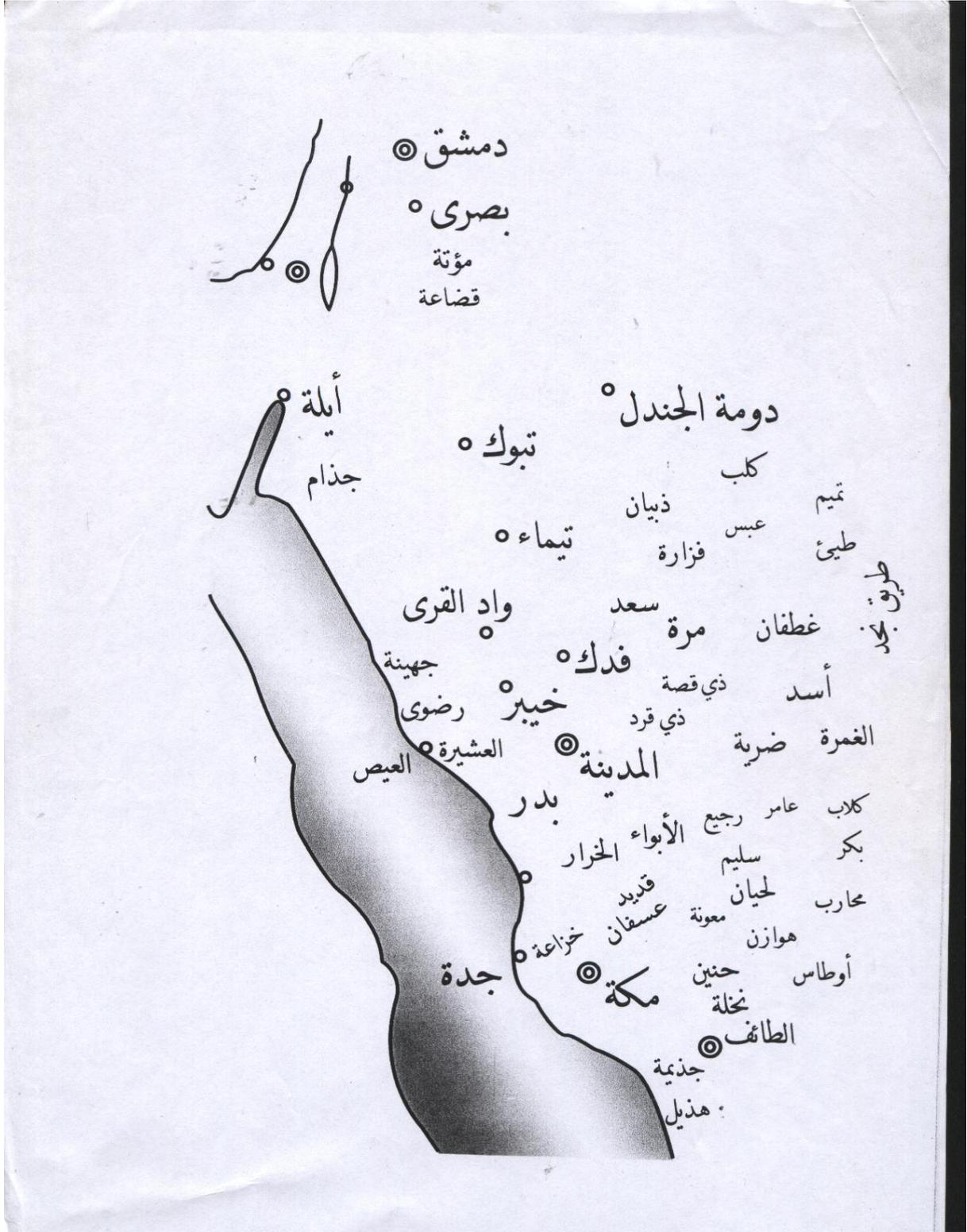
وقد صرح ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه بأسمائهم وأنسابهم وما ورد في بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين والعرب كثيرا ما تحذف الكسر.

وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة : كانوا سبعين رجلا وامرأة واحدة قال : منهم أربعون من ذوى أسنانهم وثلاثون من شباهم قال : وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج . قال : وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها . إن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عزة من قومه ومنعه في بلده وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام قال : [أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم] قال : فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : نعم فوالذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابر عن كابر

قال : فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنما قاطعوها يعني اليهود فهل عسييت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : [بل الدم

والهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتهم وأسالم من سالمتم [قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم] فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

قال ابن إسحاق : وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي ابن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة وعبادة بن الصامت المتقدم وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوزان بن عبد وزيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن الأوس ثلاثة وهم : أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة ابن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ورفاعة بن عبد المنذر بن زهير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس قال ابن هشام: وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة هذا وهو كذلك في رواية يونس عن ابن إسحاق واختاره السهيلي وابن الأثير في أسد الغابة.



أهم قبائل الحجاز ومدنه في العهد المدني

إلى العدو غزوة سرية
 سرية يقودها الصحابه
 (بواط) ف(العشيرة) مع (سفوان)
 لحمزة عبيدة وسعدها
 وفي حدود رجب المحرم
 ثم غزا بني سليم (الكدر)
 قتل (أبي عفاك) و(العصماء)
 وغزوة السويق للقريش
 لغطفان فسليم قد أمر
 سرية الزيد لقطع (القرده)
 لولا خروجهم ل(حمراء الأسد)
 ل (قطن) ضد قبائل أسد
 ابن أنيس للزعيم الهذلي
 فقتلوا ببئر ذي معونة
 أستقبلت بالم وجيع
 (بدر) الأخيرة أهين الموعد
 وقيل ثنتان ببدء السابع
 محاولا قتل (أبي سفيان)
 وهزم الأحزاب إذ تخندقا
 إذ قتلوا لم يُنظروا لحِيظَه

وخرجت في الجهر والسريه
 فغزوة النبي بلا نيابه
 وأول الغزو إلى (ودان)
 سرية من قبلها أو بعدها
 ثم ابن جحش لجنوب الحرم
 وأول الصوم انتصار (بدر)
 يهود (قينقاع) للجلعاء
 و(كعب الأشرف) بغير جيش
 في عامه الثالث غزو (ذي أمر)
 بغزو (بحران) ب(فرع) سرده
 ثم انهزم المسلمين في (أحد)
 بعث أبي سلمة عبد الأسد
 في رابع الأعوام بعث رجل
 وأرسل القراء للمعونة
 أخبارهم مع خبر (الرجيع)
 بنو النضير من يهود طردوا
 رفاع نجد في جمادى الرابع
 تظاهر الضمري بالأمان
 غزا النبي (جندلا) (مصطلقا)
 والكل في الخامس مع (قريظة)

المحاضرة (08)

مادة فقه السيرة النبوية [التاريخ الإسلامي]

الحكم المستتبطة من الهجرة النبوية والمرحلة الأولى (الدفاعية) من العهد المدني:

* إن اتخاذ الرسول ﷺ لكل الاحتياطات أثناء الهجرة ولكافة الأسباب الممكنة مع الضراعة والدعاء هو تعليم عملي للأمة لمعنى التوكل، أما تخلف علي لإرجاع الأمانات فدليل واضح على تناقض قريش! بل ومصادقة جديدة منها على أن محمدا صادق أمين، ليس فقط قبل أن يعلن لهم أنه نبي بل وحتى بعد ذلك! أما فيما كان يفعله آل أبي بكر ففيه صورة النشاط والحيوية التي ينبغي أن يكون عليهما الفتیان والفتيات لخدمة أمتهم ونصرة الحق.

* أول خطوة عملية أجريت في المدينة بعد الهجرة هي بناء المسجد ليتم فيه صهر المؤمنين يوميا في بوتقة التساوي بين يدي الله وتذويب الفوارق الدنيوية بين لبنات المجتمع الجديد، وكانت الخطوة الثانية هي الإخاء بينهم تعميقا لذلك المعنى وتحقيقا للمقصد وتطبيقا للمثاليات والكمالات، وتأتي الخطوة الثالثة (كتابة الوثيقة) لإرساء المجتمع الجديد على أسس دستورية واضحة تعدل في بنودها مع السكان غير المسلمين في مجتمع المدينة وتضع آليات التكافل بين جميع الأفراد وتخضع القبلات لمنطق جديد -غير العصبية- ألا وهو الإيمان بالنسبة للمسلمين، وخدمة الدولة الفتية بالنسبة لغيرهم مراعاة منهم للأغلبية وللصالح العام وللقيم المشتركة بل وللعدالة الملموسة.

* إن اشتراط النبي ﷺ لفداء بعض أسرى بدر تعليم صبيان المسلمين الكتابة هو إشارة واضحة إلى ضرورة بناء المجتمع المسلم على نور العلم، كيف لا؟ وهو الدين الذي جاءت أول تعليمة إلهية فيه توصي بالقراءة والكتابة وأدواتهما، بل إن أول إجراء حكومي قام به المصطفى ﷺ فور استقراره بالمدينة هو عمل إحصاء للسكان كأحدث ما تقوم به الدول العصرية فضلا عن الدستور المكتوب في الصحيفة مما لم تكن تعرفه الحضارات القديمة.

* لم يكن قطع طرق التجارة على مكة منطلقا فقط مما فعلته قريش بالمسلمين حينما كانوا عندها بل كان ذلك بعد محاولات نبوية لعرض السلم عليهم لكنهم أبوا لإلا الحرب التي لم يعلنها عليهم إلا حينما وقعت في يده رسالة منهم تحث بقايا المشركين على الانقلاب ضد المهاجرين مما يعتبر تدخلا سافرا في الشؤون الداخلية يجيز مع ما قبلها إعلان الحروب بين الدول قديما وحديثا.

* إن النصر في المعارك لا يكون بالكثرة العددية فقط بل بالروح المعنوية والاعتقاد بالحق والاستعداد للتضحية، على أن يحرص المجتمع كله كي يوفر ما يمكن توفيره من الاستعدادات المادية، فكلما كان بذل الجهد حسب الطاقة والإمكان والمتاح دون تقصير كان التوكل على الله عند إذن حقيقيا ومقبولا بل ومستجابا.

* إن مخالفة المسلمين للأوامر النبوية القيادية مفضية للانكسار كما أن مخالفة الجنود للانضباط والتقيد بمقتضيات خطة المعركة حسب ما تحدده القيادة هو أيضا مفض إلى الانهزام.

* إن دينا يأمر أتباعه - لا ! بل يأمر نبيه - ببناء المجتمع على آليات التشاور ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ رغم أن المعصوم غني عن آراء غيره ومع ذلك يقول له ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ إن دينا هذا شأنه لحري بالبشرية جمعاء أن تتبعه خصوصا إذا علمنا أن هذا المبدأ الإلهي وأن تطبيق هذه التعليمات الربانية وصلا إلى أقصى حد يمكن تصوره:

- ففي بدر لم يكتف ﷺ بأراء المهاجرين بل طلب آراء الأنصار مراعات منه لبنود بيعة العقبة.
- ثم تنازل عن رأيه ﷺ لصالح رأي الحباب بن المنذر في اختيار أرضية المعركة ببدر.
- ثم استجاب لرأي سعد بن معاذ ببناء عريش خاص بالقيادة مع حراسته في بدر.
- ثم استشار وزيره في الأسرى ومال إلى فدائهم بالأموال وبعد الفداء ينزل الوحي مبينا أن الصواب كان مع الرأي الآخر !.
- وقبل غزوة أحد تنازل ﷺ عن رأيه لصالح الأغلبية !! بل إنه رفض أن تجامله الأغلبية بالتنازل عن رأيها !!!.
- وقبل غزوة الأحزاب يقرر النبي أثناء التشاور تنفيذ رأي مواطن بسيط غير عربي (سلمان الفارسي) بحفر الخندق ثم أعلن النفير العام لتطبيقه مما يدل على حرص الإسلام أن يمتلك أتباعه أرقى ما يتيح العصر من وسائل الدفاع.
- ووصل الأمر بالقيادة النبوية أثناء حصار الأحزاب إلى حد إلغاء إتفاق كاد يبرمه ﷺ مع بعض الأحزاب، مراعاة لموقف ممثلي الأنصار.
- وأغرب ما في مشاورة النبوية هو ما حدث عند توقيع صلح الحديبية من ذهول الصحابة وعدم إستجابتهم للأمر النبوي لهم بالتحلل من العمرة فدخل على زوجه أم سلمة غاضبا

فلما أشارت عليه بأن يبدأ هو بالتحلل أمامهم بادر إلى تطبيق مشورتها ! فكانت النتيجة
تزام الصحابة على التحلل ...

نص للمطالعة:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ سَفْيَانَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أَبِي وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الْأَوْثَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَاحِبَنَا وَإِنَّا نُنْفِسُ بِاللَّهِ لَتَقَاتِلَنَّهُ أَوْ لَتُخْرِجَنَّهُ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ وَنَسْتَيْحِ نِسَاءَكُمْ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَقِيَهُمْ فَقَالَ « لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ». فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَفَرَّقُوا فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ فَكَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحِلْفَةِ وَالْحِصُونِ وَإِنَّكُمْ لَتَقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ - وَهِيَ الْخِلَاحِيلُ - فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالْعَدْرِ فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ وَلِيُخْرِجَ مِنَّا ثَلَاثُونَ حَبْرًا حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمُنْصَفِ فَيَسْمَعُوا مِنْكَ. فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ آمَنَّا بِكَ فَفَقَصَّ خَبْرَهُمْ فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ عَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ « إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ ». فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ ثُمَّ عَدَا الْعَدُوُّ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْكَتَائِبِ وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ فَعَاهَدُوهُ فَأَنْصَرَفَ عَنْهُمْ وَعَدَا عَلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجُلَاءِ فَجَلَّتْ بَنُو النَّضِيرِ وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَخَشَبِهَا فَكَانَ نَحْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَاصَّةً أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا وَخَصَّه بِهَا فَقَالَ (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) يَقُولُ بَعْضُ قِتَالِ فَأَعْطَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَكْثَرَهَا لِمُهَاجِرِينَ وَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ وَقَسَمَ مِنْهَا لِرَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَكَانَا ذَوِي حَاجَةٍ لَمْ يَقْسِمَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ غَيْرَهُمَا وَبَقِيَ مِنْهَا صَدَقَةٌ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّتِي فِي أَيْدِي بَنِي فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَارِسٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ وَفَرِيطَةَ حَارَبُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَجَلَى رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَنِي النَّضِيرِ وَأَقَرَّ فَرِيطَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَارَبَتْ فَرِيطَةَ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَمَّتْهُمْ وَأَسْلَمُوا وَأَجَلَى رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنِي قَيْنُقَاعٍ وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالْمَدِينَةِ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ حِينَ حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ حَفِظْتُ بَعْضَهُ وَثَبَّتَنِي مَعْمَرٌ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ قَالَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا أَتَى دَا الْحُلَيْفَةَ قَلَدَ الْهَدْيِ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُرَاعَةَ وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ بِعَدِيرِ الْأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ قَالَ إِنَّ فَرِيطَةَ جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ وَمَانِعُوكَ فَقَالَ أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ أَتَرُونَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَإِلَّا تَرَكْنَاَهُمْ مَحْرُوبِينَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ فَتَوَجَّهَ لَهُ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاَهُ قَالَ امضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ¹.

¹ أبو داود: السنن، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2، ص37-38.

المحاضرة (09)

مادة فقه السيرة النبوية [التاريخ الإسلامي]

ثانيا: المرحلة الهجومية (6-10 هـ)

* شهد العام السادس سرايا في كافة الاتجاهات من حدود مكة إلى دومة الجندل مرورا بتهديد جماعات يهودية وأخرى أعرابية، وانتهت السنة بغزوة الحديبية التي خرج فيها النبي إلى مصالحته معتمرين وأخرجوا قريشا عند الحديبية حتى اضطروها بعد مفاوضات إلى عقد الصلح الذي بموجبه تم تحييد قريش وتقييد حركتها ضد الإسلام وإطلاق حرية الدعوة بين القبائل كلها.

سرية محمد بن مسلمة إلى ضربة ضد بكر بن كلاب في محرم وأسرهم ثمانية الحنفي.	في سنة 6
سرية عكاشة إلى الغمرة في ربيع الأول.	هـ
سرية محمد بن مسلمة إلى أهل ذي القصة حيث قُتل أصحابه فكانت سرية أبي عبيدة للثأر لهم.	ابتداء من 23 ماي
غزوة بني لحيان من هذيل بعسفان ثأرا للرجيع في جمادي الأول.	627 م
ثلاث سرايا متتالية يقودها زيد في شهري جمادي توجهت الأولى إلى الحموم ضد بني سليم والثانية ضد بني ثعلبة بالطرف والثالثة إلى العيص ضد عير قريش.	
سرية أبي عبيدة ضد حي من جهينة ولرصد عير قريش بالعيص في رجب.	
سرية علي ضد بني سعد بفدك في شعبان.	
سرية ابن عوف إلى دومة الجندل في شعبان.	
سرية عبد الله بن عتيك لقتل ابن رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي بخيبر في رمضان.	
سرية زيد إلى بني فزارة بوادي القرى في رمضان أو بعده.	
سرية ابن رواحة لقتل يسير بن رزام اليهودي بخيبر في رمضان أو بعده.	
سرية كرز بن جابر الفهري للقبض على العرنين في شوال أو بعده.	
غزوة الحديبية لأداء العمرة والرجوع عنها بعقد الصلح مع قريش في ذي القعدة.	

* بدأ العام السابع بمطاردة النبي صلى الله عليه وسلم للأعراب في ذي قرد ثم بمحاصرته لآخر معاقل اليهود في خيبر ووادي القرى حتى سقط بيده مما اضطر أهالي فدك وتيماء إلى مصالحته¹ وأرسل عدة سرايا إلى مختلف الاتجاهات من جذام شمالا إلى هوازن جنوب مكة كما أرسل كتبه إلى الأمراء والملوك داخل الجزيرة العربية وخارجها يدعوهم إلى الإسلام وخرج أيضا بصحابته إلى مكة لأداء عمرة القضاء.

غزوة ذي قرد لمطاردة عينة الغزاري وقومه في محرم.	في سنة 7 هـ
غزوة خيبر ووادي القرى ومصالحة فدك وتيماء في صفر.	ابتداء من 11
سرية أبي بكر ضد فزارة بنجد	ماي 628 م
ثم سرية عمر ضد هوازن بترية جنوب مكة في شعبان.	
سرية بشير بن سعد ضد بني مرة بفدك حيث قتلوا أصحابه في شعبان.	
سرية ابن أبي حدود السلمي مع ابن قتادة إلى الغابة ضد جشم في شعبان.	
سرية بشير بن سعد ضد عيينة وخطفان في شوال.	
عمرة القضاء في ذي القعدة.	
سرية ابن أبي العوجاء السلمي ضد بني سليم في ذي الحجة وقتل أصحابه جميعا.	
مراسلة أمراء جزيرة العرب والملوك المحيطون بها.	
سرية زيد إلى حسمى شمالا ضد فرع من جذام اعترضوا دحية وهو عائد بهدايا قيصر.	

* شهدت السنة الثامنة سرايا ضد قبائل محيطة بمكة وأخرى بنجد وسرايا ضد قبائل مخالفة للروم الذين اصطدم معهم المسلمون في موته واستشهد قادتهم زيد وجعفر وابن رواحة وأنفذهم خالد بن الوليد بصعوبة بينما كانت سرية ابن العاص لتأديب كل القبائل وهكذا بسيط المدينة نفوذها على جل الحجاز وربما تجاوزت حدوده قليلا إلى أن نقضت قريش عهدها بمساعدتها لحليفها بكر ضد حلفاء النبي من خزاعة فاجتمعت جيوش المسلمين من عشرة آلاف مقاتل دخلوا مكة دون مقاومة من أهلها الذين عفا عنهم النبي وظهر الكعبة من أصنامهم وأرسل السرايا لهدم الأصنام التي حول مكة وتهديد بعض حلفائها، حتى اضطر للخروج بجيشه ومن انضم إليه لضرب تحالف هوازن وثقيف²

¹ ابن هشام: السيرة النبوية، مج2، ج3، ص230-276.

² ابن هشام: السيرة النبوية، مج2، ج4، ص300-348.

والذي كاد أن يتغلب على المسلمين لولا ثبات النبي ومن حوله، وبعد النصر أرسل سرية لملاحقة فلول هوازن وتكفل هو بمحاضرة ثقيف في مدينتهم الطائف التي رفع عنها الحصار فجأة! وبعد للعمرة عاد إلى المدينة حيث بعث السرايا إلى القبائل البعيدة فجاءته وفودها للإسلام كما بدأ يرسل بعوثه بين القبائل لجمع الصدقات.

سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى هوازن في ربيع الأول.	في سنة 8 هـ
سرية غالب الليثي ضد بني الملوح بقديد وعسفان ثم سرية إلى بني مرة بفدك ثأرا لأصحاب بشير.	ابتداء من 01 ماي 629 م
سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح ضد قضاة شمالا حيث قتل أصحابه.	
سرية (غزوة) مؤتة في جمادي الأول	
وسرية ذات السلاسل ضد قضاة وجيرانها في جمادي الثانية.	
سرية أبي قتادة إلى إضم ضد غطفان ومحارب بنجد في شعبان.	
فتح مكة الأعظم في 20 رمضان	
وإرسال خالد لهدم العزى بنخلة وعمرو لهدم سواع بهذيل	
ثم سرية خالد إلى بني جذيمة وسعد بن زيد الأشهلي لهدم مناة في قديد ...	
غزوة حنين ضد هوازن وثقيف في 6 شوال وإرسال سرية أبي عامر الأشعري إلى أوطاس ضد بعض هوازن في منتصف شوال ثم غزوة الطائف ومحاصرة ثقيف في نهاية شوال. وقبل انطلاق سرية قيس بن سعد إلى صداء جاء وفدها.	
وبعد سرية عيينة إلى تميم جاء وفدهم.	

* شهدت السنة التاسعة إرسال السرايا لحراسة جدة ولتحتيم بعض الأصنام مع مجيء وفود أكثر القبائل، وفي منتصفها خرج النبي في أضخم جيش عرفته العرب في ثلاثين ألفا لمواجهة تهديدات الروم وتأمين حدوده معهم انطلاقا من منطقة تبوك حيث جاءته وفود تلك المناطق تثبت ولاءها معه.

سرية علقمة بن مجزر المدلجي مع عبد الله بن حذافة ضد بعض الحبشة ظهورا بالساحل قرب جدة.	في سنة 9 هـ
سرية علي لهدم صنم الفللس لطيء ومباغته أهلها ومجيء وفودهم في رجب.	ابتداء من 21 أفريل 630 م
مجيء وفد ثقيف وبعث أبي سفيان والمغيرة لهدم صنمهم اللات بالطائف.	

- ولجمع الصدقات بعث بريدة أو كعب بن مالك إلى أسلم وغفار وعباد بن بشر الأشهلي إلى سليم ومريئة وبعث رافع بن مكيث إلى جهينة. وابن العاص إلى فزارة والضحاك بن سفيان الكلابي إلى قومه وابن اللثبية الأزدي إلى ذبيان والوليد بن عقبة إلى المصطلق وبسر بن سفيان الخزاعي إلى قومه...

أما في العام العاشر فقد ركز النبي ﷺ على اليمن بإرسال عماله ودعاته إلى قبائلها ثم كانت حجة الوداع خاتمة المطاف في نشر الإسلام بين العرب. ثم جهز النبي ﷺ جيشا بقيادة الفتى أسامة بن زيد بن حارثة ليهدد الروم في الأردن لكن هذه السرية لم تنطلق بسبب مرض النبي ﷺ ثم وفاته صبيحة يوم الاثنين 12 ربيع الأول 11 هـ الموافق للثامن من شهر جوان 632 م¹.

بعث خالد ثم عمرو بن حزم إلى نجران	في سنة 10 هـ
بعث أبي موسى مع معاذ ثم علي مع خالد إلى اليمن حجة الوداع.	ابتداء من 10 أفريل 631 م
استعداد أسامة لغزو بلقاء الأردن ثأرا لمؤتة	مطلع 11 هـ

¹ - ابن كثير، المصدر السابق، ص111-151. و الصلابي: المرجع السابق، ص657-880-. والمباركفوري: المرجع السابق، ص295-400. و ابن هشام: السيرة النبوية، مج2، ج4، ص500-507.

نص للمطالعة:

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ حَدَّثَنِي ابْنُ أَحْيَى ابْنُ شَهَابٍ عَنْ عَمِّهِ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَالْمَسُورَ بْنَ مَخْرَمَةَ يُخْبِرَانِ خَبْرًا مِنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ فَكَانَ فِيهَا أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْهُمَا أَنَّهُ لَمَّا كَاتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرِو يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى قَضِيَّةِ الْمُدَّةِ وَكَانَ فِيهَا اشْتَرَطَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو أَنَّهُ قَالَ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا وَخَلَّيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَأَبَى سُهَيْلُ أَنْ يُقَاضِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ فَكَّرَ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ وَامْتَعَضُوا فَتَكَلَّمُوا فِيهِ فَلَمَّا أَبَى سُهَيْلُ أَنْ يُقَاضِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ كَاتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلٍ يَوْمَئِذٍ إِلَى أَبِيهِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو وَلَمْ يَأْتِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا رَدَّهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا وَجَاءَتْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَكَانَتْ أُمَّ كُثُومِ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ عَاتِقُ فَجَاءَ أَهْلُهَا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرْجِعَهَا إِلَيْهِمْ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمُؤْمِنَاتِ مَا أَنْزَلَ.

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ فُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ فُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِبَيْلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عِظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بَنَاتِجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَذْنُوهُ مِنِّي وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَّبَنِي فَكَذَّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَّبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فَيَكُمُ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لَا قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ قُلْتُ بَلْ ضِعْفَاؤُهُمْ قَالَ أَيْرِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَهُمْ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ يَعْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمَكِّ كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ

الْكَلِمَةِ قَالَ فَهَلْ فَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَ فَتَأَلُّكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِحَالٌ
يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ
أَبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ
فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبٍ قَوْمَهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا
الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلِ قَيْلٍ قَبْلَهُ
وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ
يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضِعْفَاءُوهُمْ
فَذَكَرْتَ أَنَّ ضِعْفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيُرِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ
وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيُرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا
وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ
وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَأَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ
أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَيُّيَ أَعْلَمُ أَيُّيَ أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ
لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دَحِيَّةُ إِلَى عَظِيمِ
بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلٍ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلِ
عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ
أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّنَ

{وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا
يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ
مَا قَالَ وَفَرَّغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّحْبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي
حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمَرَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى
أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِبِلِيَاءَ وَهَرَقْلُ سُفْقًا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ
هَرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِبِلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْبَتَكَ قَالَ ابْنُ
النَّاطُورِ وَكَانَ هَرَقْلُ حَزَاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ

مَلِكِ الْحِثَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَحْتَرِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَحْتَرِ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهَمُّكَ شَأْنُهُمْ وَكَتَبَ
إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ
عَسَانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَخْبِرَهُ هِرَقْلُ قَالَ أَذْهَبُوا فَانظُرُوا أَمْحَتَرِ
هُوَ أَمْ لَا فَانظُرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُحْتَرِ وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَحْتَرُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ
الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ بِرُومِيَّةٍ وَكَانَ نَظِيرُهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمَصَ فَلَمَّ
يَرِمُ حِمَصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ
نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةِ لَهُ بِحِمَصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعُلِّقَتْ ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ
هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمْرِ الْوَحْشِ إِلَى
الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ عُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفَرَتُهُمْ وَأَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ زُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي
قُلْتُ مَقَالَتِي أَنِفًا أَحْتَرِ بِهَا شِدَّتْكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ
شَأْنِ هِرَقْلَ رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ وَيُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ¹.

¹ البخاري: الصحيح، كتاب بدء الوحي، الحديث رقم 7، مج 1، ص 7-9.

عكاشةُ محمدُ بنُ مسلمة
 في (غمرة) و(ضرية) (ذي القصة)
 تأزُّ الرجيع عند ذي لحيان
 للعر مع ثعلبة سليم
 ثم عليّ لبني سعدٍ غلب
 ل(دومة الجندل) دون خوف
 ثم اغتيال من يقود خيرا
 و(ابن رواحة) ل(ابن ززام)
 نبينا ل(مكة) لم يعز
 فاضطهم للصلح ب(الحديبية)
 ف(خيرا) بالفتح والصلح ورد
 عمرُ في هوازن مزاره
 وابن أبي حدرَد ضد (جشم)
 وعمره القضاء في ذي القعدة
 وراسلَ الملوك ذيل العام
 من حول مكة شجاع غالب
 قضاة غسان مع جذام
 وقتلوا ب(الطلح) ذي السرية
 (ذات السلاسل) لذي الأتوام
 مكة أكرمت بفتح أعظم
 خالد في (جذيمة) قد أثننا
 للمسلمين إذ غدوا ألؤفا
 إذ تم مع سرية ال(أوطاس)
 وفوجئت برفع ذا الحصار

في سادسٍ قاد السرايا المسلمة
 أبو عبيدة وكل قصة
 ثم غزا (هذيل) في (عسفان)
 زيد ل(عيص) (طرف) (جموم)
 أبو عبيدة ل(عيص) في رجب
 إلى الشمال وكذا ابن عوف
 زيد إلى فزارة وادي القرى
 ف(ابن عتيك) قاتل ل(سلام)
 وجاء بالعربيين (كز)
 بل جاءها معتمرا بالتلبية
 في سبع غزوة غاب (ذي قرد)
 سرية الصديق للفزارة
 وابن أبي العوجاء ذاك السلمى
 بشير قبل الصوم ثم بعدة
 زيد إلى (حسمى) على جذام
 في ثامن (شجاع) ثم (غالب)
 قبائل الشمال كالجذام
 إذ نكبوا المبعوث والهدية
 فكانت ال(مؤتة) للأروام
 بعث أبي قتادة ل(إضم)
 وحطموا من حولها ذا الوثنا
 وأرئكت (هوازن) الصفوفا
 والنصر في (حنين) للقسطاس
 وحوصرت ثقيف في الأسوار

ومع (تميم) وفدت (صداء) (عينه) و(قيس) والجنود
وبعث الصحب لجمع الزكوات
و(قطبة بن عامر) ل(خثعم)
وجيش عسرة إلى الحدود
إذ في (تبوك) (أيلة) و(دومة)
(علقة) ل(جدة) السواحل
معاد خالد علي والحزبي
في عاشر مع حجة الوداع
صبيحة الإثنين من ثاني عشر
تباحث الأنصار في السقيفة
فألهموا الصديق بالتميز
تغسيه في الثوب زادوا الكفنا
زوجاته: خديجة فسوده
أم المساكين وأم سلمة
أم حبيبة تلي جويرة
مارية قد ولدت إبراهيم
بذكره من للختم مسك
ربيع ألف قد أتيت الهادي
في مولد ناجيت، يا رعاكم
به اقتدوا وعظّموا تعظيما
كذا جميع الأنبياء طرا
أولئك الذين هم ربي هدى
فمن يشاقق الرسول بعدما
فادغ -أخي- للذي قد نظما

إذ للسرايا بلغت أصداء
في تاسع قد كثرت وفود
وهدم أصنام وفرض الصلوات
(ضحك) في بني كلاب ينتمي
لير ما للروم من تهديد
أخضع كل سيد وقومه
هددها الأحباش بالغوائل
والأشعري في يمن بالحزم
سرية ابن الحب لولا الناعي
شهر ربيع أول حادي عشر
مع المهاجرين عن خليفة
وألهم الألب بذات التجهيز
صلوا فرادى حيث مات دفنا
عائشة حفصة ذات جوده
زينب بنت جحش المقدمة
صفية ميمونة، فالجارية
ريحانة والكل نلن التعظيم
وبختم الأنبياء نكوا
أرخ (وبعض الحب من تهادي)
﴿فقدموا بين يدي نجواكم﴾
صلوا عليه سلّموا تسليما
والآل والأصحاب مستمرا
﴿فبهدهم اقتده﴾ واخش الردى
قد جاءه من الهدى تهديما
كي يسق من كوثره فلا ظما

المحاضرة (10)

مادة فقه السيرة النبوية [التاريخ الإسلامي]

أهم العبر المستنبطة من المرحلة الثانية (الهجومية) في العهد المدني:

- صلح الحديبية هو الصلح الذي كاد الصحابة أن يهلكوا بإظهارهم التبرم من بنوده، لكن النتائج أكدت الحكمة والعبقرية في شخصية محمد ﷺ وليس هذا فحسب؛ بل أعطتنا قبله وبعده مزيدا من الأدلة التاريخية على نبوته، ثم إن الله ورسوله يريدان للدعوة ومسيرتها غير تلك التي تنجر عن الاصطدام والغلبة؛ فقد كان الفتح لمكة وغيرها بعد الصلح فتحا سلسا منسوبا في القلوب لا يحتاج إلى مزيد من الصراع والقتال، ولقد كان منظر الصحابة وهم يؤدون العمرة بعد عام مؤثرا على النفوس ومصداقا للوعد الإلهي ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق...﴾.

- الهدف العام الذي ينبغي لدعاة الإسلام أن يجعلوه نصب أعينهم هو تهيئة الوسائل لنشر هذا الدين في ربوع الدنيا كلها وتبليغه بكل اللهجات، وأن يحسنوا عرضه على العالم أجمع؛ فقد حرص الرسول ﷺ فور الصلح على بعث الرسائل إلى ملوك الأرض حول جزيرة العرب، فاستعجال بلوغ الغاية القصوى بانتشار الإسلام لا ينفي مراعاة التوقيت المناسب لكل خطوة ولا ينفي إصلاح النفس والمحيط لأن ذلك أحسن ما يعين على إقناع الأبعدين وتحقيق المنشود إزاءهم.

- إن في طريقة فتح مكة دليل على جواز مفاجأة العدو عند نقضه للعهد، أما الذي يُتوقع منه النقض فيجب إخباره بإلغاء المعاهدة، كما أن في سبب فتح مكة إشارة واضحة إلى أن اعتداء العدو المعاهد على حليف للمسلمين - ولو كان الحليف كافرا - هو اعتداء على المسلمين أيضا، وأن النقض الذي يقوم به أفراد من المعاهدين هو نقض منهم جميعا ما لم يتبرأوا منه عمليا.

- بعد تطهير الكعبة من الأصنام أعاد النبي ﷺ مفاتيحها لأصحابها من بني عبد الدار رغم توقع تسليمها لبني هاشم فنزلت الآية ﴿إن الله يامرکم أن تؤدوا الأمانات...﴾ ولما أذن بلال فوق الكعبة كانت الخطبة النبوية لقريش هي إعلان رسمي بإلغاء كل مفاخر الجاهلية وعاداتها مع تلاوته للآية ﴿... لتعارفوا إن أكرمکم عند الله أتقاکم...﴾ ثم قال للملأ في الأخير (إذهبوا فأنتم الطلقاء) كعفو شامل لا يستثنى منه إلا أفراد قلائل - سارع بعضهم للإسلام فشملمهم العفو - وهكذا فإنه لا اعتبار

للافتخار بالقوميات في دين الحق ولا يسمح شرعا بإعادة الاعتماد لهذه العصبية التنتة إذ أمرنا بتركها.

- إن بيعة النساء قد أعقبت مباشرة بيعة الرجال للنبي ﷺ بعيد الفتح مما أكد ويؤكد اشتراك المرأة مع شقيقها الرجل في مسؤوليات العمل للنهوض بالمجتمع والإنسانية ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ... ﴾ لذا وجب عليها هي أيضا أن تتسلح بالعلم وأن تشارك في العمل بكل الوسائل العصرية المتاحة والمباحة لتنهض بدينها وأمتها.

- ومثلما أشار القرآن إلى انتصار القلة المؤمنة في بدر أشار كذلك إلى انهزام الكثرة ولو كانت مؤمنة يوم حنين استكمالا لدرس الأخذ بالأسباب ، وقد كادت الهزيمة أن تتواصل يومها لولا شجاعة النبي ﷺ وثباته مع قليل من صحبه وعلى رأسهم الصحابية أم سليم !.

- بما أن الجهاد العسكري هو سبب من الأسباب الكثيرة التي ينبغي سلوكها أثناء الدعوة لنشر الحنيفية السمحة فإنه لا ينبغي أن يُفهم منه الحقد على الكفار بل إن القتال وسيلة اضطرارية لا تُنسى صاحبها الحرص على هداية الناس كالدعاء النبوي في حصار الطائف (اللهم اهد ثقيفا ...)

- جيش العسرة الذي تطلب الكثير من المال والنفير العام هو ما أخاف الروم ورتب الحدود معهم وأنجح غزوة تبوك رغم ما فيها من محاولات المنافقين الدائمة والدائبة، ولذلك تركّز الحديث عليهم في سورة التوبة؛ لأن دولة الإسلام في أوج انتصارها ولأن جماعة المؤمنين في عنفوان نشاطها لا يخشى عليها إلا من ظاهرة النفاق تستشري في صفوفها كالسرطان الخبيث ينبغي تتبعه بالمضادات والأدوية ولو أدى بنا الأمر إلى اقتلعه ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم بيغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ... ﴾.

- ما شهدته العام العاشر من كثرة بعث الدعاة والولاة دون أية غزوة أو سرية هو اكتمال نشر التوحيد في جزيرة العرب موازاة باكتمال توحيد العرب سياسيا وهو ما أعرب عنه القرآن في خاتمة المطاف بحجة الوداع في الآية ﴿ اليوم أكملت ... ﴾ فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يقرنا سعيهما الدنيوي بالسعي في دعوة الآخرين إلى التزام الدين ولو بتكلف مشقة السفر أو مشاق أخرى ليلبغ الإسلام مسامع الأبعدين وتقام الحججة على الجميع.

- لقد نصت الوصايا النبوية للدعاة بالتيسير والتبشير مع عدم التنفير والتعسير مما يعني ضرورة تحسين عملية العرض لهذا الدين بقدر الإمكان مع التدرج والتلطف دون تبديل للأحكام ودون إقرار على

المعاصي - ويبقى التيسير في اختيار وسائل الإنكار - ثم تنتهي الوصايا بقوله: "واتق دعوة المظلوم" لكي يحذّر المتقلدون للمناصب من أي تعسف في استعمال السلطة أو في استخدام الحق أو عند التصرف في المال العام ... وهكذا فتقوية الوازع الديني وتنمية الضمير المهني والخلقي أمر هام عند تولية الموظفين.

-الإعلان عن الحج مع النبي ﷺ هو إشعار باقتراب مهمته من نهايتها مما دفع أكثر الناس الذين لم يروه في قبائل العرب إلى التفكير في ملاقاته فكان ذلك الحشد المتجاوز لمائة ألف ! فما أعظم ذاك التجمع الجماهيري بين قائد وأمته في سفوح عرفات ! وهو يعلن على الأسماع خلاصة هذا الدين ويضع أمانته على أعناق أجيال الأمة منذ ذلك الرعيل الأول الذين قال لهم: "اللهم هل بلغت اللهم فاشهد" فقد أعلن أمامهم عن إنهاء أوضاع الجاهلية المعوجة وألا تُجرح أخوة المؤمنين بأي ظلم، مع التركيز على النساء وحقوق العبيد والإماء إلى جانب ضرورة طاعة الحاكم في غير معصية - ولو كان هذا الحاكم حبشيا ! - وأن تجعل الأمة مرجعيتها العليا في كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ...

نص للمطالعة

خطبة حجة الوداع:

و هي خطبة ألقاها الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم عرفة من جبل الرحمة وقد نزل فيه الوحي مبشراً أنه "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد

أن محمداً عبده ورسوله.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير. أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا * ألا هل بلغت اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وقضى الله أنه لا ربا. وإن أول ربا أبدأ به عمي العباس بن عبد المطلب.

وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية * ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

أما بعد أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحرقون من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس إنما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليوطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله. وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان * ألا هل بلغت اللهم فاشهد. أما بعد أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق. لكم أن لا يواطئن فرشهم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتجرهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن

وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً* ألا هل بلغت... اللهم فاشهد.

أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئٍ مال لأخيه إلا عن طيب نفس منه* ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

فلا ترجعن بعدى كافراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت... اللهم فاشهد.

أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى* ألا هل بلغت... اللهم فاشهد قالوا نعم* قال فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوarith وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من ثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل. والسلام عليكم.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- صحيح البخاري.
- 3- صحيح مسلم.
- 4- جامع الترمذي.
- 5- سنن النسائي.
- 6- سنن أبي داود.
- 7- سنن ابن ماجه.
- 8- مسند أحمد.
- 9- ابن هشام سيرة ابن هشام.
- 10- ابن كثير الفصول في سيرة الرسول.
- 11- السباعي السيرة النبوية دروس وعبر.
- 12- محمد الغزالي فقه السيرة.
- 13- البوطي فقه السيرة.
- 14- الصلابي السيرة النبوية.
- 15- المباركفوري الرحيق المختوم.